في طريق السالكين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القائل في كتابه الكريم: {وإنك لعلى خلق عظيم}(1).

والصلاة والسلام على مَنْ بُعث ليُتمِّم مكارم الأخلاق، وعلى آله المطهَّرين.

عُبِّر عن جهاد النَّفس في النصوص الشريفة بالجهاد الأكبر، ولا غرابة في ذلك، فجهادُ النَّفس مستمرّ مادام الإنسان حيّاً في هذه الدنيا يتعرَّض للفتنة في نفسه ودينه وماله ووُلْده.

فالجهاد الأصغر له زمان ومكان معيَّنَيْن، وخسائره محدودة لو حصلت، بينما الجهاد الأكبر ساحتُهُ كل زمان ومكان، وخسائره لا سمح الله خسارة للدنيا والآخرة.

لذا كان تهذيب النَّفس واجباً عيناً على كلّ واحدٍ منَّا، وإنْ كان أكثر النَّاس لا يعلمون.

* * *

والمصادر الأخلاقية عديدة ومتنوِّعة، ولله الحمد، لكنَّنا سوف ننهج في كتابنا هذا ما ذكره مولانا ومقتدانا الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه، خاصة، كتابه «الأربعون حديثاً» الذي فيه أهم نظرياته الأخلاقية والسلوكية.

ونلفت النَّظر إلى الأمور التالية:

1 . إنَّ هذه الدروس سوف تكون ممنهجة بطريقة سهلة أكاديمية، ليستفيد منها الطلاَّب الأعزاء، على أن يرجعوا إلى الكتب الأخلاقية المرجعية، ويستزيدوا من كل عنوان أخلاقي على حدة في مصادره المختلفة.

2 . يُختم كلُّ درس بمجموعة من الأحاديث الشريفة المباركة لتُغْني الموضوع المطروح من خلال ربطه بأصوله وحُججه.

3 . كذلك يُختم كلُّ درس بمجموعة من الآداب والمستحبات، لنعمل بها ونحييها بعد أن نُسي الكثير منها، حيث يقول الإمام الخميني قُدِّس سرُّه الشريف:

«إنَّ تهذيب الظاهر بالسُّنن والمستحبات على طريقة رسول الله (ص) (ص) هي الخطوة الأولى التي لا بُدَّ منها لتهذيب الباطن والوصول إلى المأمول.

وهذا الأمر بمقدور كلّ فردٍ منَّا، وإهماله ضلالٌ وضياع».

4 . إنَّ الاطِّلاع والامتثال بسيرة علمائنا الأعلام ليكونوا لنا قدوة وأسوة أمرٌ بديهي للسالك إلى الله تعالى.

3 ربيع الثاني 1422هـ أقل الناس

(25 حزيران 2001م) السيد سامي خضرة

الموضوع الأول

جهاد النَّفس، الجهاد الأكبر

رُوي عن مولانا أبي عبد الله الصادق (ع) أنَّ النَّبي بعث سريَّة (2) فلمَّا رَجَعوا قال : «مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر، وبقي عليهم الجهاد الأكبر»، فقيل: يا رسول الله (ص)، وما الجهاد الأكبر؟ قال: «جهاد النَّفس».

المقدِّمة:

كلّ واحد منَّا له نشأةٌ ظاهرية هي البدن، وله نشأة أُخرى غيبيَّة هي النَّفس.

وتتنازع النَّفس جنودٌ رحمانية، لو تغلَّبت كان صاحبُها من أهل السعادة والفوز، وجنودٌ شيطانية، لو انهزم أمامها وخضع لها كان من أهل الشقاء والخسارة.

وهذا الصراع المستمرّ الدائم مع كل إنسان يُسمَّى «جهاد النَّفس» وهو الجهاد الأكبر والأساس لِيَقْوى المرءُ ويستمرّ على خُطى الأنبياء والأولياء والصالحين، ولنتائجه بركاتٌ كثيرة، من جملتها، الثبات في مواطن الفتنة والبلاء والامتحان والجهاد الأصغر.

ما هو الجهاد الأكبر؟

هو عبارة عن انتصار الإنسان على قواه الظاهرية التي في بدنه، من عين وأُذُنٍ ويدٍ ولسان..، فتأتمر بأمر الخالق سبحانه وتعالى، فَيُعزُّ صاحبُها بالطاعة ولا يُذلُّ بالمعصية.

فَمَنْ كانت حركاته وسكناته خاضعة لشرع الله جلَّ جلاله، فلا يُحرّك عيناً ولا لساناً ولا يداً ولا فَرْجاً إلاَّ بطاعة الله تبارك وتعالى، كان من أهل الجهاد الأكبر الذي يعلو على القتل في سبيل الحق، فهذا يُقتل في العمر مرَّة، وذاك يُقتل في اليوم مرَّات ومرَّات.

كيف نسلك طريق الجهاد الأكبر؟

حتى نُوفَّق لسلوك هذا الطريق المرْضي، الذي يقودنا إلى الفوز الأخروي، لا بُدَّ من شروط وأُسُس... ومن جملتها:

1 . التَّفكُّر: والمقصود به أن يتفكَّر الإنسان العاقل المطيع في نِعَم الله الجليلة والجميلة، التي لا تُعدُّ ولا تُحصى، وفي خَلْقه ومخلوقاتَه، وكيف أنَّه أرسل الرسالات وابتعث الأنبياء وبيَّن طريق الهدى... ثم يسأل نفسه:

هل يُعْقل أنَّ وجودي هو لإشباع الشهوات؟ إذاً، ما الفرق بيني وبين البهائم؟

ولماذا أُمرتُ أن أقتديَ بالأنبياء الكرام والأولياء العظام... وهل سلوكي وتصرُّفي في هذه الحياة يتناسب مع ذلك؟

إنَّ هذا التفكير ومثيلاته سوف يُؤدِّي لا محالة إلى فهم الهدف من هذه الحياة، وأنَّه ليس لفعل الشهوات واتِّباع النزوات، وأنَّ الراحة والسعادة لا يصل إليها أحدٌ عن هذه الطريق، وما الحياة الدنيا التي نعيش إلاَّ مزرعة للآخرة الباقية.

فليتَّعظ، بتفكُّره هذا، بما لا يُحصى من الجبابرة والسلاطين والملوك الذين أرادوا عُلُواً وفساداً في الأرض، فلم يدوموا لدنيا، ولم تَدُمْ لهم، وفاجأهم الموت الذي طالما فرُّوا منه، بملاقاتهم، ولو كانوا في بروج مشيَّدة وقلاع محصَّنة.

2 . العزم: ونتيجةً للتفكُّر المتقدِّم، يصل المجاهد إلى عزم على:

أ . أن لا يقترف معصية وأن يقوم بالواجبات.

ب . وأن يحتاط في أمر دينه ويحرص عليه كأشدِّ من حرصه على دنياه.

ج . وأن يجبر ما فاته في السنين السالفة والأيام الخالية بالجدّ والاجتهاد قبل أن يُسْلَبَ العافية أو ينخره المرض أو يفتك به الضعف.

وبالتالي يسعى إلى أن يُنظِّم سلوكه وظاهره، تماماً، كظاهر الرسول الأعظم سيدنا محمّد ، فيتأسَّى به في كل تفاصيل حياته، في قيامه وقعوده وحديثه ومشيه ونومه وألفاظه، وفي جميع ما يفعل ويترك.

وهنا ملاحظة هامّة وهي:

إنَّ جعل ظاهرنا مثله أمرٌ مقدور لأي فرد من عباد الله تعالى، وإهمال ذلك ضلال وضياع.

لذلك كان حرصُ السلف الصالح على الآداب والسُّنن في كل تفاصيل حياتهم، وهكذا يجب أن نكون.

وكُلَّما كان العزم شديداً وصادقاً و«مسلِماً» كُلَّما تيسَّرت طريق الجهاد أكثر {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا}(3).

وكُلَّما اقترف المعاصي، نعوذ بالله تعالى، فقد عزمه وإرادته وهوى، وإن صوَّر له الشيطان أنَّه يُحسنُ صُنْعاً.

قال الأستاذ الشاه آبادي رحمه الله تعالى:

«إنَّ أكثر ما يُسبّب فَقْد الإنسان للعزم والإرادة، هو الاستماع للغناء».

3 . المشارطة: وهي الناتجة عن العزم المتقدِّم في أن لا يرتكب أيَّ معصية في هذا اليوم.

4 . المراقبة: وتكون طوال مدَّة المشارطة في التصدِّي الدائم والمستمرّ لوسوسة الشيطان الرجيم وعدم السقوط في حبائله، ولا بُدَّ في المراقبة من الحسم، قاطعاً الطريق أمام التردُّد والإغراء والمخادعة كما يفعل البعض بادِّعاء «المخارج الشرعية» فالله تعالى لا يُخدع في دينه.

5 . المحاسبة: فإنْ وَفَيْتَ في شرطك، فاشكرْ الله على ذلك، واثبتْ، فإنَّها نِعَمٌ تُضاف إلى نِعَم، ومن بركات هذه الطاعات أنَّها سوف تتحوَّل إلى ملكات راسخة، وتُصبح طاعاتُك سهلةً يسيرة، بل تُرزق الأُنْس بالطاعة والتزام الأوامر.

وعندها تفهم جيداً ما عجز عن فهمه الكثير، من الكنوز الإلهية، ومنها، أنَّ كلَّ التكاليف هي تحت مقدورك، لأنَّ الله جلَّ جلاله لا يُكلِّف إلاَّ بالمقدور، وإن كان الشيطان وجُنْدُه يُصوِّرون ذلك على أنَّه صعبٌ عسير.

وأمَّا إنْ لم تكن وفياً، لا سمح الله، فاستغفر ربَّك وتُبْ إليه مباشرة بلا تسويف، لأنَّ التوبة واجبٌ فوري لا يجوز تأخيره ولو للدقائق التالية، وجدِّد العزم بيقين أكبر، واستصغار للدنيا وآلامها واستحضارٍ للآخرة ونعيمها.

وعليك الاهتمام بهذا الحديث لعلَّه يعينك في جهادك إن شاء الله تعالى:

روى الصدوق، بإسناده عن مولانا الصادق ، قال: بيْنَا رسول الله (ص) (ص) ذاتَ يومٍ قاعداً إذْ أتاهُ جبرئيلُ وهو كئيبٌ حزينٌ متغيّرُ اللَّون فقال رسول الله (ص) : يا جبرئيل مَا لي أراكَ كئيباً حزيناً؟ فقال: يا محمَّد فكيف لا أكونُ كذلك وإنَّما وُضِعَتْ منافيخُ جهنَّمَ اليومَ. فقال رسول الله (ص) : وما منافيخُ جهنَّم يا جبرئيل؟ فقال: إنَّ الله تعالى أمرَ بالنَّار فأُوقِدَ عليها ألفَ عامٍ حتى احْمَرَّتْ، ثمَّ أمرَ بها فأُوْقِدَ عليها ألفَ عامٍ حتَّى ابْيَضَّتْ ثمَّ أمرَ بها فأُوقِدَ عليها ألفَ عامٍ حتَّى اسودَّت وهي سوداءُ مظلِمَةٌ. فلو أنَّ حلقةً من السِّلْسلة الَّتي طولُهَا سبعون ذراعاً وُضِعَتْ على الدُّنيا، لذابَتْ الدُّنْيا من حرِّها ولو أنَّ قطرةً من الزَّقُّومِ والضَّريعِ قَطَرتْ في شرابِ أهلِ الدُّنْيا لماتوا من نَتنِها. قال: فَبكى رسول الله (ص) وبكى جبرئيل فبعثَ الله إليهمَا ملكاً، فقال: إنَّ ربَّكُما يَقْرأكُما السَّلامَ ويقولُ: إنِّي أَمِنْتُكما مِنْ أَنْ تُذْنِبا ذَنْباً أُعَذِّبكُما عَلَيْهِ.

ذكر الله سبحانه دوماً: بأن يعتاد لسانك عند كلّ مشهد أو منظر أو حدث على قول: ما شاء الله، إن شاء الله، سبحان الله، لا إله إلاَّ الله، لا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله، حسبنا الله...

فآيات الله تعالى من حولك كثيرة، ولو اجتمع الجنُّ والإنس على تعويض ما فاتك منها لما استطاعوا.

فكيف بالنِّعم الكثيرة التي يعجز العقل عن عدِّها وحصرها، وما من شيء أمامنا إلاَّ والله قبله وبعده وخلاله.

6 . الاقتداء بأهل السلوك والأخلاق: وما لم تَفْهَمْهُ من تصرُّفاتهم وإرشاداتهم والفتاوى الصادرة عنهم فلا تستهزىء به بحُجَّة التطوُّر والحداثة والحضارة، فلأقوالهم وأفعالهم أصلٌ في الكتاب والسُّنَّة، وإنْ لم يطَّلعْ عقلُك عليه بعد.

ومن عجيب ما يُقال في هذا الزمان من المغرورين والمنهزمين والمتغرّبين:

«إنَّ ذلك لا يتلاءم مع ذوقي» أو «لم يصل إليه علمي» أو «لا يُمكنُ أن يأمر الشَّرع بذلك».

والخلاصة: أنَّ جهاد النَّفس واجبٌ لا يستقيم إيمانُ الإنسان إلاَّ به، وعندما تُهزم جنود الشيطان يسود جنود الرحمن، ويفوز السالك فوزاً لا ثمن له إلاَّ الجنَّة.

* * *

نصوص مباركة

عن الرسول الأكرم :

«المجاهد من جاهد نفسه في الله».

«أفضل الجهاد من جاهد نفسه الَّتي بين جنبيه».

عن أمير المؤمنين :

«ينبغي للعاقل أن لا يخلو في كلّ حال من طاعة ربِّه ومجاهدة نفسه».

«جهاد الهوى ثمن الجنة».

«جاهد نفسك على طاعة الله مجاهدة العدوّ عدوّه، وغالبها مغالبة الضّد ضدّه، فإنَّ أقوى الناس من قوي على نفسه».

«جاهد نفسك وحاسبها محاسبة الشَّريك شريكه، وطالبها بحقوق الله مطالبة الخصم خصمه».

وعن أبي ذرّ قلت: يا رسول الله (ص) أيّ الجهاد أفضل؟ قال :

«أن يجاهد الرجل نفسه وهواه».

* * *

آداب وسنن

من آداب النظافة والزينة(4)

(القسم الأول)

. الاستحمام بالماء الفاتر... ولا يُستعمل الماءُ البارد إلاَّ بعد الانتهاء من الحمَّام، فتُغْسل به الأطراف، كاليدين والرجلين والوجه، تمهيداً للخروج.

. عدم الإسرافِ في الماء.

. استعمال السِّدْر والنَّوْرة والخِطْمي (5) .

. تسويةُ الشعر وترتيبُهُ.

. ورد النَّهي عن حلق «القَزَع» أي حلق بعض الشَّعر وترك بعضه، تشبُّهاً بقَزَع السحاب.(انتشرت هذه العادة القبيحة مؤخَّراً بين المسلمين تأثّراً بما يرونه من عادات أهل الكُفْر).

. تسريح الشَّعر وتمشيطه في كل يوم مرّات عديدة؛ بعد كلِّ وضوء، وعند الصلاة، الواجبة أو المستحبة.

. «فَرْق» شعر الرأس من الآداب (المعروف بين الناس بـ«الفِرْق»).

. إمرارُ المشط على الصدر بعد الانتهاء من التمشُّط.

. دفن الشَّعر في التراب... كذلك الظُّفر.

. التمشيط من جلوس.

الموضوع الثاني

طلب العلم

رُوي في الخبر عن سيد البشر : «مَنْ سلكَ طريقاً، يطلُبُ فيه علماً، سلَكَ الله به طريقاً إلى الجنَّة، وإنَّ الملائكة لَتَضَعُ أجنحَتَها لطالبِ العلم رضًى به، وإنَّه يستغفرُ لطالب العلم مَنْ في السماء ومَنْ في الأرض، حتى الحوتَ

في البحر، وفَضْلُ العالِم على العابِد، كفضلِ القمر على سائرِ النجوم ليلةَ البدر، وإنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياء، وإنَّ الأنبياءَ لم يُورِّثوا ديناراً ولا دِرْهماً، ولكنْ ورَّثوا العِلْمَ، فمنْ أخَذَ منه، أخذ بحظٍّ وافر».

كلُّ مسلم طالب للعلم:

من الشُّبهات الكبيرة التي دخلت مجتمعنا أنَّ طلب العلم الديني مطلوبٌ من طبقة معيَّنة، والحقيقة أنَّ الإسلام فرض الحدَّ الأدنى من تحصيل العلم الذي هو موضع حاجة، على كلّ مسلم، والأفضل له بعد تحصيل المقدار الواجب أن يستزيد مادام حيّاً من العلوم النافعة له ولآخرته، بغضِّ النَّظر عن تصنيفها.

وطلب العلم في الإسلام لا حدود له ولا نهاية، وهذا من ميّزات الإسلام.

وبذلك يتبيَّن أنَّه لا طبقة «رجال دين» في الإسلام، بل مَنْ استزاد واستفاد سُمِّي عالماً.

ما هي العلوم؟

العلوم تنقسم إلى قسمين:

1 . العلوم الدنيوية التي تهدف للوصول إلى المكتسبات الدنيوية، وجزاؤها قد يكون دنيوياً وقد يكون أخروياً، بحسب النِّيَّة والاستخدام.

2 . العلوم الأخرويَّة التي يُمكن أن توصل لدرجات الآخرة، وجزاؤها قد يكون حقيراً أو جليلاً، بحسب النِّيَّة والاستخدام.

والمقصود بمصطلح «العلم» بالرواية، كما في جملة النصوص الأخرى، هو ما كان سبيلاً للآخرة، وليس كما يُمكن أن يستخدمه البعض بطريقة ضيِّقة محدودة يُراد منها خلاف الواقع.

فالعلم النافع الذي يُرشد إلى الخالق تعالى وعبادته وإلى الآخرة، هو الذي مدحه الإسلام وعظَّمه، وليس العلم الذي يُفسد العقول والقلوب.

قال الله تعالى: {إنما يخشى الله من عباده العلماء}(6).

وقال لقمان لابنه: «للعالم ثلاث علامات: العلم بالله، وبما يُحبُّ، وما يكره» (7) .

فلا يُمكن بعد كل هذا أن يكون «العالم» المُلْحد أو المُفْسِد عالماً بحسب المصطلح الإسلامي الأصيل، وإلاَّ، كيف تكون له هذه الكرامات:

بأنْ يسلك الله تعالى به طريقاً إلى الجنَّة، وتضع الملائكة أجنحتها له علامة الرضا، ويستغفر له مَنْ في السماء ومَنْ في الأرض؟

وكيف يكون لصاحب العلم المُفْسد والضالّ فضلٌ على العابد، ويكون وارثاً للأنبياء؟

العلم نور:

بحسب المصطلح الحقيقي للعلم، كما أراده الإسلام، هو نعمةٌ عظيمة تُؤدِّي إلى الفوز في الدنيا والآخرة، وكلّ ما يُطلق عليه في هذه الأيام مصطلح «العلم» يجب أن يندرج تحت الهدف الأساسي وإلاَّ كان شيطنة.

ورد في الحديث الشريف «العلم نورٌ يقذفه الله في قلب مَنْ يشاء».

وهذا النور الحقيقي للعلم الحقيقي موجودٌ في قلوب أهل الإيمان، وله درجات مختلفة من الشدَّة والضّعف.

ومَنْ كان مقيماً على ذنوبه ومعاصيه، حُجب عنه العلم الحقيقي الذي هو نور {ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور}(8).

ويستطيع كلُّ مَنْ حمل علماً أخروياً أن يجعله هادياً في طريقه ليكون وارثاً للأنبياء .

وكما أنَّ لكلّ إنسان أباً جسمانياً، يجب أن يكون له أبٌ روحاني يقتدي به ويصله بالسِّلسلة المباركة، سلسلة الأنبياء .

* * *

نصوص مباركة

عن رسول الله (ص) أنَّه قال:

«مَن سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طُرق الجنَّة».

«إذا جاء الموت لطالب العلم وهو على هذه الحالة مات وهو شهيد».

وعن الإمام علي أنَّه قال:

«الشّاخص في طلب العلم كالمجاهد في سبيل الله».

وعن الإمام الباقر أنَّه قال:

«ما من عبد يغدو في طلب العلم ويروح إلاَّ خاض الرّحمة خوضاً».

وعن الإمام الصادق أنَّه قال:

«طلب العلم فريضة على كلّ حال».

آداب وسُنن

من آداب النظافة والزينة

(القسم الثاني)

. ترتيبُ اللحية وتدويرها، أو الأخذُ من العارضين وتبطينُها، أي تركُ باطنها وهو وسطها بعد الأخذ من جَنْبَيْها.

. عادةُ فَتْلِ الشوارب، ليست من عادات أهل الإسلام، وورد الذَّمُّ عليها.

. عدمُ تطويل الشاربين أكثر من إطار الشِّفَّة (ما أحاط بها).

. أخذُ شعر الأنف حتى لا يظهر خارجاً عن حدِّه.

. التأكيد على أخذ شعر الإبطين، والشعر الزائد حول العورة الأماميَّة (القُبُل).

(هذا أدب النظافة في الإسلام، وليس مجرَّد استعمال (spray) وإبقاء الشَّعر!).

. تقليمُ الأظافر كُلَّما طالت، ويُكرهُ تركُها.

وفي النصِّ عن الإمام الصادق : «من السُّنَّة تقليمُ الأظافر».

. لا بأس بتقليم الأظافر في أي وقت، وذُكر في النصوص الشريفة خصوص يوم الجمعة، وعصر يوم الخميس، وفي أيِّ وقت طالت.

. يبدأ في قصِّ الأظفار من الخِنْصر من اليد اليُسْرى، ويتدرَّج إلى أن ينتهي إلى خنصره من اليد اليُمنى.

الموضوع الثالث

الغيْبـة

وهي من أشدّ الأمراض الخُلُقية والمُفْسِدات النَّفْسيَّة التي تذهب بدين صاحبها، ورد عن الإمام الكاظم أنَّه قال: «ملعون مَنْ اغتاب أخاه».

ما هي الغيبة؟

يقول الشهيد السعيد في «كشف الريبة» حول تعريف الغيبة أنَّها «ذكر الإنسان حال غَيْبته بما يكره نِسْبته إليه، ممَّا يُعدُّ نُقْصاناً في العرف، بقصد الانتقاص والذمّ».

وقيل إنَّها: «ذكر العيب بظهر الغيب».

وبذلك يُمكن وقوع الغيبة بالقول كما هو الغالب ولأنَّه أسهل من غيره، كما يُمكن وقوعها بالكتابة أو الحكاية وغيرها من طرق التفهيم.

ورد في وصيَّة سيدنا رسول الله (ص) لأبي ذرّ عندما سأله عن الغيبة، قال: «ذِكْرك أخاك بما هو فيه، فقد اغتَبْتَه، وإذا ذكرته بما ليس فيه فقد بهتَّه».

وفي حديث آخر عنه «هل تدرون ما الغيبة؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره».

والأخبار والآثار في ذلك كثيرة، كلُّها تُشير إلى أنَّ الغيبة فاحشة عظيمة وأنَّ الإصرار عليها يمحق الإيمان، من هنا حرمة إظهار عيوب المؤمنين المستورة أكانت خَلْقِية أَم خُلُقية، خاصةً أنَّ بعضها من نوع إشاعة الفاحشة بين المؤمنين أو استهانتهم بارتكاب المعاصي والعياذ بالله سبحانه.

حرمة الغيبة:

وحرمةُ الغيبة من ضروريات الإسلام، ومن المعاصي المُهْلكة التي يُمكنُ أن تُحبط عمل سنين بأيَّامها ولياليها، وهي كَمَنْ يجمع حطبه لسنين ويحرقهم في ساعة!

ويكفي المشهد المقزِّز الذي صوَّره القرآن الكريم للمغتاب فجعله كالكلب المسعور الذي ينهش لحم أخيه في حال موته وهو لا يملك من نفسه شيئاً.

قال الله جلَّ جلاله: {ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه}(9).

وهكذا ستكون صورته في عالم الملكوت، نعوذ بالله تعالى.

وقال النبي لرجلين وقعا في الغيبة: «انهشا منها» عندما مرُّوا بجيفة، فقالا: يا رسول الله (ص)، ننهشُ جيفة؟ فقال : «ما أصبتُما من أخيكُما أنتن من هذه».

ونهى رسول الله (ص) عن الغيبة قال: «مَنْ اغتاب امرءاً مسلماً بَطَلَ صومُهُ، ونُقض وضوءه، وجاء يومَ القيامة يفوح من فيه رائحةٌ أنتنُ من الجيفة، يتأذّى به أهلُ الموقف، وإن مات قبل أن يتوبَ، مات مستحلاً لما حرَّمَ الله عزَّ وجلّ».

وقال رسول الله (ص) : «مررتُ ليلة أُسريَ بي على قوم يخمشون وجوهَهُمْ بأظافيرهم، فقلتُ: يا جبرئيل! ما هؤلاء؟ قال هؤلاء الَّذين يغتابون الناس، ويقعون في أعراضهم».

وفي نصٍّ آخر يشير إلى أنَّ كشف عوراتِ المؤمنين اعتداءٌ على الحرمة الإلهية، نعوذ بالله ولا بدَّ من عقاب مماثلٍ في الدنيا فضلاً عن عقاب الآخرة.

سُمع أبو عبد الله الصادق يقول: «قال رسول الله (ص) : يا معْشَرَ مَنْ أسلم بلسانه، ولم يخلُص الإيمانُ إلى قلبه، لا تذمُّوا المسلمين ولا تتَّبعوا عوراتهم، فإنَّ مَنْ تتبَّعَ عوراتِهم، تتبَّعَ الله عورَتَه، ومَنْ تتبَّعَ الله عورتَهُ يفضحُهُ ولو في بيته».

وعن الإمام الصادق أنَّه قال: «ومَنْ اغتابَهُ بما فيه، فهو خارجٌ من ولاية الله تعالى، داخلٌ في ولاية الشيطان».

والغيبةُ من الذنوب الكبرى، لأنَّها مسٌّ بحقوق الله تعالى، وحقوق الناس أيضاً، ولا يغفر الله للمغتاب حتى يرضى صاحبُ الغيبة.

ورد عن النبي في وصيَّته لأبي ذرّ «يا أبا ذرّ إيَّاك والغيبة، فإنَّ الغيبة أشدُّ من الزنا، قلتُ: ولِمَ ذاك يا رسول الله (ص)؟ قال: لأنَّ الرجلَ يزني فيتوبُ إلى الله؛ فيتوبُ الله عليه، والغيبةُ لا تُغفرُ حتى يغفرَها صاحبُها».

أمَّا مصيرُ المغتاب، فيكفيك للموعظة والاعتبار ما رُوي عن النبي «يؤتى بأحدٍ يومَ القيامةِ، يوقفُ بين يدي الربِّ عزَّ وجلّ، ويُدْفعُ إليه كتابُهُ، فلا يرى حسناتِهِ فيه، فيقولُ إلهي ليس هذا كتابي فإنِّي لا أرى فيه حسناتي، فيُقالُ له إنَّ ربَّكَ لا يضلُّ ولا ينسى، ذهب عملُك باغتياب الناس، ثم يؤتى بآخرَ ويُدفعُ إليه كتابُهُ فيرى فيه طاعاتٍ كثيرةً، فيقولُ إلهي ما هذا كتابي، فإنِّي ما عملتُ هذه الطاعات، فيُقالُ له: إنَّ فُلاناً اغتابَك، فدُفِعَتْ حسناتُهُ إليك».

وعن النبي أنَّه قال: «أدنى الكفر، أن يسمَعَ الرجُل من أخيه كلمةً، يحفظُها عليه، يُريدُ أن يفضحَهُ بها، أولئك لا خلاق لهم».

وهناك معاصي أُخْرى تنطبقُ على الغيبة، أعرضنا عنها للاختصار، والتي منها: إهانةُ المؤمن، وإذلالُه، واحتقارُهُ وإحصاءُ عثراتِهِ...

الغيبة تفتك بالمجتمع:

من الآثار الخطيرة للغيبة أنَّها تفتك بالمجتمع الإسلامي وتجعله زرافات وجماعات تنشغل ببعضها متربِّصة ومتوثِّبة ممَّا يُؤدِّي إلى الوهن والضَّعف وسرعة دخول الأعداء إلى صفوفنا.

فالمجتمع الإسلامي الفاضل، وأمام هجمة الأعداء التي لا تتوقَّف، لا يُمكنُ أن يُواجِهَ ويثبت وينتصر إلاَّ بالوحدة والألفة والانسجام والتسامح والمحبَّة، لا بالفضيحة والتوهين والمبالغة واصطناع العداوات.

والتاريخ الإسلامي العظيم يشهد أنَّ توفير الحدِّ الأدنى من الوحدة، وهو واجب، يستطيع أن يفتح فتحاً مبيناً، ويجعل الغلبة للمسلمين.

قال الله تعالى: {إنما المؤمنون إخوة}(10).

وفِعْلُ الغيبة مخالفٌ تماماً لتحقيق هذه الأُخُوَّة المرجوَّة، لذا جاءت الآيتان مباشرة، بعد هذه الآية، تُحذِّران بشدَّة من فعل الغيبة بأسلوب غير مسبوق، ولا يُتصوَّر ما هو أشدُّ منه تأثيراً في النَّفس البشرية.

رُوي أنَّ الإمام الصادق كان يقول لأصحابه: «اتَّقوا الله وكونوا إخوةً بررةً في الله مُتواصلين متراحمين، تزاوَرُوا وتلاقوا وتذاكروا أَمْرَنا وأحيُوهُ».

وعنه أنَّه قال: «تواصَلُوا وتبارُّوا وتراحموا، وكونوا إخوةً بررةً، كما أمركُمُ الله عزَّ وجل».

فكلُّ ما يؤدّي للأُخُوَّةِ والمحبة، يكونُ مرغوباً، وكلُّ ما يؤدّي للتمزّق والتناحر، يكون مبغوضاً مذموماً... وواضحٌ أنَّ الغيبة سببٌ للحسد والعداوة والبُغض، وتؤدّي إلى تدمير المجتمع والفساد.

من هنا يجب على كلِّ مسلم غيورٍ على نفسه وأهل دينه ومجتمعه، أن يبتعد عن هذه الرذيلة، ويُبْعِدِ النَّاسِ عنها، ويقطعَ أساسها عن مجتمع المسلمين.

كما يجب نهيُ الآخرين عن فعلها، وهذا بذاته واجب مستقل، وإن غفل عنه أكثر النَّاس أو تهاونوا به.

علاج الغيبة:

كلُّ مَنْ فتك به هذا المرض، عليه المبادرة إلى العلاج قبل نزول الموت أو فوات الأوان أو إحراق كل حسناته الَّتي أفنى عمره في تحصيلها فيُصبح خالي الوفاض بهدر رأس ماله الذي لا يُعوَّض.

وعلاج الغيبة بحاجة إلى عزم قاطع، فكيف يُمكن لعاقل ومن أجل ساعة لغو وثرثرة وتفكُّه وعصبيَّة، أن يُغضب ربَّه تعالى، ويتعرَّض لنار جهنَّم نعوذ بالله؟!

هذا فضلاً عن الفضيحة في الدنيا كما توعَّدت الروايات الشريفة.

وماذا لو كُشفت له الحقائق قبل موته، فرأى كيف أنَّ خالقه تعالى نصر مَنْ ظلمهم، فيخرج من الدنيا كارهاً لمولاه جلَّ وعلا، نعوذ بالله تعالى؟!

فالله وليُّ الذين آمنوا، ومن النِّعم العظيمة حبُّ المؤمنين، أمَّا معاداتهم بالغيبة فهي معاداة للشفعاء وأحبّائهم «ووَيلٌ لِمَنْ شفعاؤه خصماؤه».

ألا يُفترض بمدَّعي الإيمان الجزم بما ورد في النُّصوص الشريفة، بأنَّ حسنات المستغيب تنتقل إلى المستغاب، وسيئات المستغاب تنتقل إلى المستغيب؟!

وهل الأمر يحتاج لأكثر من ضبط لسان ومعاندة شهوة... واستجابة لحبِّ مَنْ أمر الله عزَّ وجلَّ بحبِّه؟

ماذا عن موارد جواز الغيبة؟!

ذكر الفقهاء والعلماء، رضوان الله عليهم، بعض الحالات التي تجوز فيها الغيبة، ممَّا يُمكن بأن يكون ذريعة للحرام، أو مدخلاً مغرياً من مداخل الشيطان.

فصحيح أنَّ الغيبة تجوز في موارد وحدود معيَّنة، لكنْ قد لا يكون هذا واجباً، كما في كثير من الأحيان، وقد يكون في الأمر شبهات، والدخول في الشبهات لا تُحْمد عقباه دوماً، وقد يُحتمُ الورع ترك هذه الغيبة خوفاً من الدخول في المحظور، وقد تُغري النَّفس بما وراء الحدِّ المسموح، وقد تُصوِّر الحرام حلالاً، وعدم الجواز مصلحة... ويحدث هذا بيننا ومن حولنا كلَّ يوم.

فَكَمْ من بادىءٍ بما يجوز ومنتهٍ إلى ما لا يجوز، وكم من مغتاب كان دافعه الحقيقي التشفِّي والانتقام.

والمسألة دقيقة وخطيرة، وجنود الشيطان يتربَّصون ولن يَدَعوا الفرصة تفوتهم.

رُوي عن سيدنا ومولانا رسول الله (ص) أنَّه قال:

«طوبى لِمَنْ شغله عيبُهُ عن عيوب النَّاس».

ومرَّ عيسى ابن مريم على نبيّنا وآله وعليه السلام، والحواريون على جيفة كلب، فقال الحواريون: ما أنتن ريح هذا الكلب، فقال عيسى :

«ما أشدَّ بياض أسنانه».

فالأفضل والأقرب للتقوى ترك موارد الغيبة الجائزة أو الَّتي يُشكُّ في وجوبها.

الاستماع للغيبة حرام وردُّها واجب:

لو لم يجد المغتاب مَنْ يستمع إليه، لتوقَّف عن فعله هذا، ولو رُدع ومُنع لخاف على نفسه وهيبته.

لذا علينا أن نُعوّد أنفسنا والمجتمع على عدم الاستماع لهذه الفاحشة وترك هذه المجالس، وإنْ حصل شيءٌ منها نردُّ بقوة، لا نخشى في الله أحداً.

عن النبي أنَّه قال: «المُسْتمعُ أحدُ المغتابيْن» بل يظهر من روايات كثيرةٍ وجوب ردِّ الغيبة، وفي النصّ الشريف عن رسول الله (ص) ، أنَّه نهى عن الغيبة والاستماع إليها، إلى أن قال: «ألا ومَنْ تطوَّل على أخيه في غِيْبةٍ، سَمِعَها فيه في مجلسٍ، فردَّها عنه، ردَّ الله عنه ألف بابٍ من الشرّ في الدنيا والآخرة، فإنْ هو لم يرُدَّها، وهو قادرٌ على ردِّها، كان عليه كوِزر من اغتابَهُ سبعينَ مرةً».

وفي وصايا النَّبيّ لعلي : «يا علي! مَنْ اغتيبَ عندَهُ أخوهُ المسلمُ، فاستطاع نصرَهُ، فلم ينصُرْهُ خذلَهُ في الدنيا والآخرة».

وعن النبي أنَّه قال: «مَنْ ردَّ عن أخيه غيبةً سمِعها في مجلسٍ، ردَّ الله عنه ألف بابٍ من الشرّ في الدُّنيا والآخرة، فإنْ لم يرُدَّ عنه، وأعجبَهُ، كان عليه كوِزرِ مَن اغتاب».

يقول علاَّمةُ علماءِ المتأخرين، الجامعُ لفضيلتي العلم والعمل الشيخُ الأنصاري، بما مضمونه: «المرادُ بردِّ الغيبة، الانتصار للغائب: فإن كان العيبُ دُنْيوياً، وانتصر له، بأنَّ العيبَ ما عابَهُ الله من المعاصي، ومن أكبرها، ذكرُكَ أخاكَ بما لم يعبأ الله سبحانه به، وإن كان عيباً دينياً، تحرَّى له محملاً حسناً، فإنْ لم يتيسَّرْ ذلك، انتصر له، بأنَّ المؤمنَ قد يُبتلى بالمعصية، فينبغي الاستغفارُ له وهدايتُهُ لا تعييرُه، فقد يكون التعيير أعظَمَ عند الله سبحانه من معصيته».

ويحصُلُ أحياناً أن المستمع لا يكتفي بالسكوت عن الغيبة، بل يعمدُ إلى تحريض المستغيب وربَّما تشجيعهِ، من خلال المشاركة أو تأييده على غيبته.

وبعضُ المستمعين يشجّعون المستغيبَ بانشغالهم بذكر الله سبحانه أو الاستغفار، ويتركون ردَّ الغيبةِ، وما هذا، إلاَّ وسيلةٌ من وسائل الشيطان للإيقاع في المعصية الكبيرة المستَّرةِ بذكر الله تعالى.

نعوذ بالله.

ونختم بما قاله الشيخُ الجليل الشهيدُ السعيد الشهيد الثاني رضوان الله عليه، قال بما معناه: من أفحش أنواع الغيبة، غيبةُ أهلِ الرياء ممَّن يوصف بالعِلم، بإظهار التعفّف والنجاة، ولا يدرون أنَّهم جمعوا كبيرتين، الرياء والغيبة، فإذا ذُكر إنسانٌ عندهم قالوا: الحمد لله الذي لم يبتلينا بما ابتلاه، أو بحبُّ الدنيا والجاه، أو نعوذ بالله من قلّة الحياء، ومن الوقاحة مثلاً... فهذه غيبةٌ متستّرةٌ بلفظ الدعاء وسَمْتِ أهلِ الصلاح.

وقد يَمْدحُ مَنْ يردُ غيبتَه تمهيداً لذمّه، كأنْ يقول ما أحسن فلان هو من أهل الخير، ولكن أصابه كذا وكذا... أو لو لم يكن يفعلُ كذا... أو أصابه ما يُصيبنا جميعاً من كذا... فيذمُّ نفسَهُ قاصداً ذمَّ غيرهِ...

هذه بعضُ طرقِ الشيطان ومكائدِه فيمن يدَّعي العلمَ والعمل وهو لعبةٌ في يدِ الشيطان والهوى.

ومن أصناف هؤلاء، مَنْ يذكُرُ الله سبحانه ويستعملُ اسمه الشريف، للفت الأنظار إلى ما يريدُ قولَهُ من الغيبة... فيسبقُ غيبتَهُ بذكر الله جهلاً وغروراً لتحقيق ما يخطر في سوء سريرته...

وأحياناً يذكر أخاه مظهراً صداقَتَه وصحبَتَهُ وغيرتَهُ عليه... ثم يُتبعُ ذلك بقوله، تاب الله عليه، أو غفر الله له... ومنهم مَنْ يُظهِرُ التعجّب ليزيدَ من كلام المغتاب، فيقول مثلاً، ما أعجب هذا، أو هل حصل هذا؟ أو عجباً لما يجري، أو خبرٌ يكادُ لا يُصدَّق... إلى آخر أساليب الشيطان...

* * *

نصوص مباركة

عن رسول الله (ص) في خطبة حجّة الوداع أنَّه قال:

«أيّها النّاس، إنَّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا، إنَّ الله حرَّم الغيبة كما حرَّم المال والدَّم».

وعنه أنَّه قال:

«لمَّا عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم! فقلت: مَن هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الَّذين يأكلون لحوم النَّاس ويقعون في أعراضهم».

«من اغتاب مسلماً أو مسلمة لم يقبل الله صلاته ولا صيامه أربعين يوماً وليلة إلاَّ أن يغفر له صاحبه».

«يؤتى بأحد يوم القيامة يوقف بين يدي الله ويدفع إليه كتابه فلا يرى حسناته فيقول: إلهي ليس هذا كتابي! فإنِّي لا أرى فيها طاعتي؟!، فيقال له: إنَّ ربّك لا يضلّ ولا ينسى، ذهب عملك باغتياب النَّاس، ثمَّ يؤتى بآخر ويدفع إليه كتابه، فيرى فيها طاعات كثيرة، فيقول: إلهي ما هذا كتابي! فإنِّي ما عملت هذه الطّاعات! فيقال: لأنَّ فلاناً اغتابك فدفعت حسناته إليك».

«إنَّ الرّجل ليؤتى كتابه منشوراً فيقول: يا ربّ فأين حسنات كذا وكذا عملتها ليست في صحيفتي؟! فيقول: محيت باغتيابك النّاس».

وعن عائشة قالت: قلت للنّبيّ : حسبك من صفيّة كذا وكذا . تعني قصيرة قال:

«لقد قلتِ كلمةً لو مُزجت بماء البحر لمزجَتْه».

وعن مولانا أمير المؤمنين :

«الغيبة آية المنافق».

«اجتنب الغيبة فإنَّها إدام كلاب النَّار».

وفي نهج البلاغة المبارك:

«وإنَّما ينبغي لأهل العصمة والمصنوع إليهم في السَّلامة أن يرحموا أهل الذُّنوب والمعصية، ويكون الشُّكر هو الغالب عليهم، والحاجز لهم عنهم، فكيف بالعائب الَّذي عاب أخاه وعيّره ببلواه!.

أمَّا ذكر موضع ستر الله عليه من ذنوبه ممَّا هو أعظم من الذَّنب الَّذي عابه به! وكيف يذمّه بذنب قد ركب مثله! فإن لم يكن ركب ذلك الذَّنب بعينه فقد عصى الله فيما سواه، ممَّا هو أعظم منه، وايم الله لئن لم يكن عصاه في الكبير، وعصاه في الصَّغير، لَجَرَاءتُهُ على عيب النَّاس أكبر!...».

آداب وسُنن

التطيُّب

. من الأدب التطيُّب دوماً (التعطُّر)... إلى درجة أنَّ رسول الله (ص) كان إذا لم يجدْ يومَ الجمعة ما يتطيَّب به، أخذ بعضَ خُمُر نسائه، فرشَّهُ بالماء، ومسح به.

(والخُمُر جمع خمار، وهو ثوبٌ تُغطِّي به المرأةُ رأسها).

ونُقل عن الرّضا : «انَّ موضعَ جعفر في المسجد كان يُعرفُ من طيب ريحه وموضعِ سجوده».

. من الأدب، أن تُشمَّ الرياحين، وتُوضعَ على العينين، ثم يقول: اللَّهمَّ صلِّ على محمَّد وآل محمَّد.

فلا تقع على الأرض حتى يُغْفر له.

. من أدب التطيُّب أن يكون: أوَّل النَّهار، وللصلاة، وبعد الوضوء، ولدخول المساجد...

. الطيب يكون:

بالمسك، وكان يُرى أثَرُ المسك ولَمَعَانُهُ في مفْرقِ رسول الله (ص) .

وبالورد، فَمَنْ أراد أن يشمَّ رائحة رسول الله (ص) ، فَلْيشمَّ الورد الأحمر.

وبالعنبر والزعفران والعود...

. ورد تبخيرُ الثِّياب بأنواع البَخُور وبالعود الهندي.

(هذه العادات معروفة في أكثر البلدان الإسلامية).

. يُكْرهُ ردُّ الطيب إذا عُرض عليه «فلا ينبغي له أن يردَّ الكرامة».

. أنواع الطيب الذي ذُكر، وطريقته، لا فرق فيها بين الرجال والنساء، كما هو شائعٌ اليوم في العطور الغربيَّة.

ورد في النصِّ الشريف:

«ليتطيَّب أحدُكم يوم الجمعة، ولو من قارورة امرأته».

وكانت نساؤه في بعض الأحيان تُطيِّبْنَهُ بأيديهن.

الموضوع الرابع

الرِّياء

الرياء هو التَّمظهر بشيء من الأعمال الصالحة أو الصفات الحميدة، لمجرَّد المظهر ورؤية النَّاس ذلك بهدف الاشتهار بينهم بالصلاح والتديُّن، والفوز بمنزلة في قلوبهم... ولا يكون هذا العمل أو هذه الصفة قربة لوجه الله الكريم.

لذا فالرياء درجة من درجات الشرك تختلف شدَّة وضعفاً بحسب نوعها وآثارها.

قال الإمام الصادق : «كلُّ رياء شرك، إنَّه مَنْ عَمِلَ للنَّاس، كان ثوابُه على النَّاس، ومَنْ عمل لله، كان ثوابُهُ على الله».

مظاهر الرياء:

بعدما عرفتَ الرِّياء، عليك أن تعلم أنَّه يُمكن أن يكون في البدن كالمشية المتثاقلة والابتسامة المتصنَّعة والعينين الذابلتين، ويُمكن أن يكون في الصوت كالكلام ببطء ورويَّة، وإخراج الحروف بطريقة خاصة وإخفاض الصوت، وفي اللِّباس والزي كارتداء الثياب الممزَّقة أو البالية بطريقة توحي للناظر أنَّه زاهدٌ غير ملتفت إلى الدنيا، وينسى أنَّ هذا مخالف لِسُنَّة رسول الله (ص) ، وفي الحركات والالتفاتات والنَّظرات الهادئة، وفي كثرة الزائرين ليُظهر كثرة مريديه ومحبِّيه، وفي علاقاته مع الشخصيات البارزة في المجتمع ليُظهر أنَّه ذو شأن خطير وحظ وفير.

أمَّا الرياء في العقائد فهو من أشدِّ وأخطر أنواع الرِّياء، لأنَّ صاحبه إن كان غير معتقد بما يُظهره حقيقة وواقعاً، فهو كافر، وإن كان معتقداً لكنَّه يُرائي، فهو منافق أو مشرك، وقد تُؤدِّي به الحال إلى ضعف الإيمان واضمحلاله، نعوذ بالله تعالى.

ورد في الحديث الشريف: «كلّ رياء شرك».

العلم لا يمنع الرياء:

فمجرّد العلم بالله جلَّ جلاله وملائكته ورسله ويوم القيامة، دون التسليم لكلِّ ما ورد في الشريعة المقدَّسة واعتبارها نعمة، لا يكون إيماناً حقيقياً.

فالعلم شيء، والإيمان شيء آخر، والعلم قد يحصل عليه حتى المشرك والملحد أمَّا الإيمان فلا يكون إلاَّ لأهل التسليم والمخبتين.

فالشيطان عالمٌ بأمورٍ كثيرة، لكنَّه غير قابل بها ولا خاضع لها.

فقد يكون الإنسان عالماً، لكنَّه ولضعف إيمانه يدخله الرِّياء، ويُعشعش في قلبه الخالي، ويكون سبب هلاكه، فيدخل النار بريائه، ويدخل الجنَّة الذين استضاؤوا بعمله.

فكم مِمَّن استزاد من العلم ليعلو على النَّاس ويشتهر أو ليُماري ويُناقش لا حبّاً في إظهار الحق بل غلبة على الآخرين، فلو أظهر الحقَّ غيرُهُ، وكانت الشهرة لهذا الغير دونه، لاستشاط واغتاظ، بل رُبَّما دخل في الحرام والافتراء، بل رُبَّما تعصّب لرأيه وإن كان خلاف الحق!

ولو كان صادقاً محبّاً لله تعالى ولدينه لأذعن للحقِّ وسلَّم بل لَشَكَرَ ذاك الذي نصر الحقَّ ولَوَضَعَ نفسه في خدمته وتحت إمرته.

وماذا ينفع العلم، الذي هو من طرق الوصول إلى الطاعات والقربات لو لم ينفع في تعظيم الخالق تعالى، بل حرص على رضى المخلوقين دونه جلَّ وعلا، فأفسد حتَّى صلاته وصلاة جماعته لِيتَبَوَّأ موقعاً في قلوب النَّاس؟!

فكم من ملتزم بصلاة الجماعة، لا يترك مناسبة إلاَّ ويذكر حرصه على الجانب الأيمن من الصف الأول... يبتغي قلوب النَّاس.

وكم من تارك للجماعة، يدَّعي الاحتياط لأنَّه لا يُريد الابتلاء بإمام غير عادل، مع أنَّ حسن الظاهر يكفي... يريد سُمْعة في نفوس النَّاس!

وكم من سائل عن صلاة اللَّيل أو شارح لفوائدها... وهو لا يعرفها.

علاج الرياء:

اكتبْ على قلبك «أن لا مؤثِّر في الوجود إلاَّ الله» وأنَّ قلوب العباد الذين ترغب في استمالتهم هم تحت قدرته وسلطانه، فهو سبحانه مُقلِّب القلوب ومحبِّب القلوب ومثبِّت القلوب.

أمَّا سعيُك وخططك فقد تكون إلى تباب.

فكم من متملِّقين ومتزلِّفين افتُضحوا، بل أكثرهم كذلك؟

وكم مِمَّنْ أتلف عمره وشبابه ووقته وعافيته وماله ليستميل القلوب، فإذا به يُبعدها؟

فالعلاج في طلب القلوب من بارئها وخالقها والمهيمن عليها، لا السعي بقوة موهومة وهدف سراب، حتَّى يقول: {يا ليتني كنت تراباً}(11).

ورد عن أبي عبد الله الصادق في قول الله عزَّ وجلّ: {فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً}(12) أنَّه قال: «الرجل يعمل شيئاً من الثواب لا يطلُبُ به وجه الله، إنَّما يطلُبُ تزكية النَّاس، يشتهي أن يسمع به النَّاسُ، فهذا الذي أشرك بعبادة ربِّه ثم قال: ما مِنْ عبدٍ أسرَّ خيراً فذهبت الأيامُ أبداً، حتى يُظهرَ الله له خيراً، وما من عبدٍ أسرَّ شرّاً، فذهبت الأيامُ أبداً، حتَّى يُظهرَ الله له شرّاً».

* * *

نصوص مباركة

عن رسول الله (ص) أنَّه قال:

«إنَّ المَلَك ليصعد بعمل العبد مبتهجاً به فإذا صعد بحسناته يقول الله عزَّ وجلّ اجعلوها في سجّين إنَّه ليس إيَّاي أراد به».

«...وتصعد الحفظة بعمل العبد مبتهجاً به.. فيطوون الحجب كلَّها حتَّى يقومون بين يدي الله فيشهدوا له بعمل صالح ودعاء فيقول الله تعالى: أنتم حفظة عمل عبدي وأنا رقيب على ما في نفسه إنَّه لم يرِدْني بهذا العمل، عليه لعنتي...».

«إنَّ المرائي ينادى يوم القيامة: يا فاجر! يا غادر! يا مرائي! ضلَّ عملُك، وبطل أجرُك، اذهب فخذْ أجرك ممَّن كنتَ تعمل له».

وعن شدّاد بن أوس، قال: رأيت النَّبيَّ يبكي، فقلتُ: يا رسول الله (ص) ما يُبكيك؟ فقال:

«إنّي تخوّفت على أمّتي الشّرك. أمَّا إنَّهم لا يعبدون صنماً ولا شمساً ولا قمراً ولكنَّهم يراؤون بأعمالهم».

وفي نهج البلاغة المبارك:

«اعلموا أنَّ يسير الرِّياء شرك».

وعن الإمام الصادق أنَّه قال:

«ما على العبد إذا عرفه الله ألاَّ يعرفه النَّاس إنَّه مَن عمل للنَّاس كان ثوابه على النَّاس ومَن عمل لله كان ثوابه على الله وإنَّ كلَّ رياء شرك».

وعنه في قوله عزَّ وجلّ: {فمن كان يرجوا لقاء ربه } (13) :

«الرّجل يعمل شيئاً من الثّواب لا يطلب به وجه الله إنَّما يطلب تزكية النَّاس، يشتهي أن يسمع به النَّاس فهذا الَّذي أشرك بعبادة ربّه».

آداب وسُنن

آداب لبس الثياب (14)

(القسم الأول)

. يستحبّ لبسُ الثياب الجميلة، مادامت من مالٍ حلال، وتُناسبُ وضع لابسها من الناحية الاجتماعية.

. ينبغي للمرء الاقتناع بما عنده بحسب استطاعته.

. لا يجوز السعيُ لتحصيل الثياب الفاخرة كيفما كان، كما لو كان ذلك عن طريق الحرام، أو مانعاً عن فريضة.

. ورد استحباب لبس ثياب القطن، فإنَّه لباس رسول الله (ص) كما ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .

. الأبيض، أفضل ألوان اللِّباس، لذلك يُستحبّ لبسه في جميع الحالات.

ورد عن رسول الله (ص) قوله: «البسوا البياض، فإنَّه أفضل وأطهر، وكفِّنوا فيه موتاكم» (15) .

(لاحِظْ اللون الأبيض للألبسة في بعض الأقطار الإسلامية).

. تُكره الثياب الطويلة التي تصل إلى الأرض، وقد تحرم أحياناً إذا كانت منشأً للتكبُّر.

(ينبغي الحذر من بعض خياطات فستان العروس، كما قد يحدث في هذه الأيام، كذلك بعض خياطات «البنطلون» للرجال التي تصل إلى الأرض).

ورد عن أبي عبد الله الصادق عن أبيه قوله: «ما جاوز الكعبين ففي النار» (16) .

. يحرم على الرجال لبس الثياب المختصة بالنساء مهما كان نوع هذه الثياب (كالفستان والتَّنُّورة).

كما يحرم على النساء لبس الثياب المختصة بالرجال، فقد لعن رسول الله (ص) «المتشبِّهين من الرجال بالنساء، ولعن المتشبِّهات من النساء بالرجال» (17).

الموضوع الخامس

الغضب

رُوي عن أبي عبد الله الصادق أنَّه قال: «الغضب مفتاح كلّ شرّ».

فالغضب حالةٌ نفسية وحركةٌ داخلية تدفع صاحبها للانتقام، وكلَّما كانت حركةً عنيفة صعب علاجها وتعذَّر إطفاؤها.

ومن آثارها الفورية أنَّها تعمي الإنسان عن الرشد، وتصمُّه عن الموعظة، وتذهب بعقله، وتجعله يتصرَّف كالمجنون، ويطمع به الشيطان.

رُوي عن أمير المؤمنين قولُه: «إيَّاك والغضب فأولُّه جنون وآخره ندم».

الغضب المذموم:

عندما يُطلق عنوان «الغضب» ينصرف إلى المذموم منه، وما يُخرج العاقل عن حدوده ويُدخله في ظلمات لا تُعرف نتائجها، فقد يضرب أو يشتم أو يحرق أو يجرح أو حتى يقتل... وبالجملة، يفعل ما لا يفعله في أطواره العادية.

وأخطر نتائج الغضب أنَّه قد يُخرج صاحبه، بعد جملة من المعاصي والمخالفات الشرعية، قد يخرجه عن إيمانه، نعوذ بالله تعالى، ليُصبح مرتدّاً عن دين الله سبحانه.

ورد عن سيدنا ومولانا رسول الله (ص) قوله: «الغضب يُفسد الإيمانَ كما يُفسد الخلُّ العسل».

وعن مولانا الباقر :

«إنَّ هذا الغضب جمرةٌ من الشيطان توقد في قلب ابن آدم».

فيُمكن لنار الغضب أن تخرج من العين واليد واللِّسان وسائر الأعضاء الظاهريَّة ليُصبح صاحبُها في تصرُّفه كالحيوانات.

قال الله تعالى: {إن هم إلاّ كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً} (18) .

وعن عليّ أمير المؤمنين أنَّه قال:

«مَنْ غلب عليه غضبُهُ وشهوتُه فهو في حيّز البهائم».

أيُّها الحبيب:

لقد وَقَعَتْ وتقع أعظم الفتن وأفجع الأعمال بسبب نار الغضب، بل يُفتح باب الشرّ على مصراعيه من الحقد إلى الحسد والتُّهمة والغيبة وضرب النَّاس وشتمهم وكشف أسرارهم... ولا يخفى أنَّ واحدة من هذه المفاسد كفيلة بنسف الإيمان وهدم البيوت.

رُوي عن أبي عبد الله الصادق أنَّه قال:

«كان أبي يقول: أيُّ شيء أشدُّ من الغضب؟ إنَّ الرجل ليغضب فيقتُلَ النَّفس الَّتي حرَّم الله، ويقذف المحصنة».

قال بعض الحكماء:

إنَّ الغضب أمُّ الأمراض النفسيَّة؛ وعلاجه يُزيل الأخلاق الفاسدة والعادات القبيحة من النَّفس، لتحلَّ محلَّها الصفات الحسنة والأخلاق المحمودة التي يجب أن يتحلَّى بها القلب.

الغضب الممدوح:

وهناك نوعٌ من الغضب ممدوح ومحبوبٌ إلى الله عزَّ وجلّ، كما لو غضب المؤمن إذا انتُهكت المحارم أو انتشرت المعاصي أو أُهينت المقدَّسات.

فالغضب الممدوح من النِّعم الإلهية التي يُرجى به عمارةُ الدُّنيا وبالتالي عمارةُ الآخرة، والتفريط في هذا النوع من الغضب مذموم، كأن يستكين صاحبه إلى الخوف والضَعف والكسل وقلَّة الصبر والسكوت على الظلم، والتزلزل في المواطن التي يُرجى فيها الثبات، والاستسلام للعدوّ الذي تُنتظر مقاومته.

في مثل هذه الحالات يكون الغضب مطلوباً بل فرضاً.

يقول الله تبارك وتعالى، في وصف المؤمنين:

{أشداء على الكفّار رحماء بينهم} (19) .

وهذه القوَّة الغضبيَّة الشريفة تُعين على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتنفيذ الحدود والتعزيرات وسائر المجريات السياسية وشؤون الدولة والحكم.

وبفضل الغضب الممدوح وتحت لوائه يكون الجهاد ضدَّ أعداء الدِّين، والدفاعُ عن النَّفس والمال والعِرض، وحفظُ النِّظام العائلي، والذبُّ عن القوانين الإلهية، والغَيْرة على المقدَّسات.

ولا يخلو إنسان من غريزة الغضب، لكنْ قد تكون ضعيفة، فينبغي ترويضها وتنشيطها لتعود إلى اعتدالها ورشدها، فلا يُضيّعها التفريط.

فعلينا توجيه غضبنا لينال من الذين كانوا السبب في أكثر مشاكِلنا الاجتماعية والاقتصادية والمالية والسكنية والأمنية والعقائدية، فضلاً عن المشاكل السياسية والعسكرية، وأن نوجِّه لومنا للنيل من المستكبرين والمستعمرين، الطامعين بأرضنا، الناهبين لأرزاقنا، المسيئين لمعتقداتنا، القتَّالين لأبنائنا، المستبيحين لمقدّساتنا.

ولنعلَمَ أنَّ أكثر آلامنا منهم وبسببهم... كانت ومازالت، حتى نضع لهم حدّاً وهذا ما نرى أنَّ الأئمة يدعون إليه أصحابهم وهو الغضب المقدَّس، وفي ذلك أجرٌ وثواب... أي أن يكون غضبنا، في الله، وبالله سبحانه.

فهذا أمير المؤمنين يكتبُ لأهل مصر مادحاً لهم: «مِنْ عَبْد الله علي أمير المؤمنين، إلى القوم الذين غضبوا لله، حيث عُصي في أرضه، وذُهِب بحقِّه...».

وهذه الحالة المحببة تُسمى في مصطلحاتنا بالتنمّر في سبيل الله سبحانه الذي أوحى إلى سيدنا موسى في الذين يُظلُّهم في ظلِّ عرشه، يوم لا ظلَّ إلاَّ ظلُّه، فذكر سبحانه جملة منهم إلى أن قال: «...والذين يغضبون لمحارمي إذا استُحِلَّت، مثل النمر إذا جرح».

هكذا كان نهج الأنبياء والأولياء، وهكذا كان أنصارهم، ...فلنتصوَّر أنفسنا لو كنَّا في زمن أبي ذرّ رضي الله عنه، عندما حُكم عليه بالنفي، وقد خرج الأحبَّة لوداعه: عليٌّ وعقيل والحسن والحسين وعمَّار بن ياسر، فلمَّا حانت لحظة الفراق، وقف أمير المؤمنين وقال في كلام مؤثّر: «يا أبا ذرّ، إنَّك إنَّما غضبت لله عزَّ وجلّ، فارجُ ما غضبت له، إنَّ القوم خافوك على دنياهم، وخفتهم على دينك، فأرحلوك عن الفناء، وامتحنوك بالبلاء، ووالله لو كانت السماوات والأرض على عبد رتقاً ثم اتَّقى الله عزَّ وجلّ، جعل له منها مخرجاً، فلا يُؤْنسك إلاَّ الحقّ، ولا يوحشك إلاَّ الباطل...».

وكان المُخلص البارُّ أبو ذرّ عند حسنِ ظنِّ سيّده ومولاه، فودَّع النَّاس من حوله ووصَّاهم إلى أن قال: «أيّها النَّاس اجمعوا إلى صلاتكم وصومكم، غضباً لله عزَّ وجلّ إذا عُصي في الأرض، ولا تُرْضوا أئمتكم بسَخَط الله، وإن عُذِّبتم وحُرِمتُم وسُيِّرتُم، حتى يرضى الله عزَّ وجلّ».

علاج الغضب المذموم:

وكما لكلِّ مرض علاج، فإنَّ للغضب المذموم المؤدِّي إلى قبائح الأفعال علاجاً، منها:

أن يتأمَّل كيف أنَّه بغضبه خرج عن حيِّز العقلاء ودخل في ما لا تُحمد عقباه، وما يُشكِّل خطراً على حياته ووجوده ودنياه.

وكيف يُمكن أن يُخْسره الغضب إيمانه ودينه فيكون من أهل النَّار، والعياذ بالله تعالى.

وكيف تُصبح تصرفاته كالمجانين، وتكفي نظرةٌ واحدة إلى المرآة في حال الغضب ليتعجَّب من منظره ويستاء من شكله.

وأنَّه أصبح ضعيفاً أمام الشيطان يُحرّكه كيفما يشاء.

ويُنصح للعلاج أيضاً:

1 . أن يُشغل نفسه بأمور أخرى غير الَّتي سبَّبت غضبه وأشعلت ناره.

2 . أن يغادر المكان الذي وقع فيه الغضب.

3 . أن يُغيِّر وَضْعيَّة جسده، فلو كان جالساً فلينهض، أو العكس، أو يستلقي أو يمشي.

4 . أن يذكر الله جلَّ جلاله ويتذكَّر سلطته وقدرته، ورأى البعض وجوب ذكر الله في حال الغضب.

5 . إذا كان الغضب على أحدٍ من أرحامه فَلْيمسَّه.

6 . أن يُخالف هواه قدر الإمكان إنْ استطاع، وَلْيتمثَّل أهل التواضع والعفو والتسامح، ويُحاول تقليدهم.

ورد عن أبي جعفر الباقر : «إنَّ هذا الغضبَ جمرةٌ من الشيطان، توقدُ في قلب ابن آدم، وإنَّ أحدَكم إذا غضب، احمرَّتْ عيناه، وانتفخت أوداجُه، ودخل الشيطان فيه، فإذا خاف أحدُكم ذلك من نفسه فَلْيَلْزم الأرض، فإنَّ رجْزَ الشيطانِ يذهبُ عنه عند ذلك».

وعنه أيضاً عندما ذُكر الغضبُ عندَه قال: «إنَّ الرجل ليَغْضبُ فما يرضى أبداً حتى يدخلَ النَّارَ، فأيُّما رجل غضب على قوم وهو قائمٌ، فَلْيَجْلِسْ من فوره ذلك، فإنَّه سيذهبُ عنه رجزُ الشيطانِ، وأيُّما رجل غضبَ على ذي رحمٍ، فَلْيَدْنُ منه فَلْيَمَسَّهُ، فإنَّ الرحمَ إذا مُسَّتْ سكنت».

7 . أن يفهم جيِّداً أنَّ الغضب ليس شجاعة، كما يظنّ كثير من النَّاس وكما تُصوِّره وسائل الإعلام المرئية، بل هما نقيضان تماماً.

فالشجاعة من أعظم صفات المؤمنين، وفيها الطمأنينة والرويَّة والحكمة والثِّقة والحلم، ويبقى صاحبها مسيطراً على نفسه، وتبقى أعماله تحت ميزان العقل والشرع.

ويكفي أنَّها خلق الأنبياء والأولياء.

بينما الغضب هي كما رأيتَ مظاهره ونتائجه، وهي ضعف وقلَّةُ إيمان وخضوعٌ للدُّنيا وتسرُّع وندم وخوف، بل أحياناً يغضب على الجمادات فيكسرها.

ويكفي أنَّ الغضب يكون في الصغار أكثر من الكبار، وفي الجهلة أكثر من العقلاء.

8 . المبادرة إلى الوضوء أو الاغتسال.

9 . التفكُّر في عفو الله وحلمه، ويسأل ربَّه ذلك.

نصوص مباركة

حدّثنا رسول الله (ص) أنَّ الله تعالى أوحى إلى سيدنا داوود :

«إذا ذكرني عبدي حين يغضب، ذكرته يوم القيامة في جميع خلقي، ولا أمحَقه فيمن أمحق».

وعن رسول الله (ص) أنَّه قال:

«من كفَّ غضبه كفَّ الله عنه عذابه».

وعنه في تحف العقول:

«يا عليّ لا تغضب، فإذا غضبت فاقعد وتفكّر في قدرة الربِّ على العباد وحلمهِ عنهم، وإذا قيل لك: اتّق الله، فانبذ غضبَكَ، وراجع حِلمَك».

وعنه أنَّه قال:

«إنَّ الغضب من الشيطان، وإنَّ الشيطان خُلِق من النار، وإنَّما تُطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكُم فليتوضّأ».

«الغضب يُفسد الإيمان كما يُفسد الخلُّ العسل».

وجاء عن علي في غُرر الحِكم قوله:

«داووا الغضبَ بالصمت».

وجاء عن الباقر في بحار الأنوار، قوله:

أيُّما رجل غضب وهو قائم فليجلس، فإنَّه سيُذهب عنه رجز الشيطان، وإن كان جالساً فليقم...».

وعنه في كتاب الكافي الشريف قوله:

«وأيُّما رجلٍ غضِب على ذي رحم، فليدن منه، فليمسّه، فإنَّ الرحم إذا مُسَّت، سكنت».

وروى حمّاد اللحّام أنَّ رجلاً أتى الإمام الصادق شاكياً له أنَّ أحد أبناء عمّه (أي أبناء عمّ الإمام الصادق) ما ترك وقيعة ولا شتيمةً إلاَّ قالها فيه، فتوضّأ الإمام ودخل إلى غرفة مجاورة. فقال الرجل في نفسه، لعلَّه دخل ليصلّي ركعتين ويدعو عليه، فيهْلَك من ساعته... ولكنَّ الإمام قام يصلّي ويقول:

«يا ربّ هو حقي قد وهبته، وأنت أجودُ مني، وأكرم، فهبْه لي، ولا تؤاخذه بي ولا تقايسه».

قال الراوي: فلم يزل يدعو فجعلت أتعجّب.

وفي رواية أخرى، أنَّ الإمام قام يصلِّي ويقول:

«يا ربّ إنَّ فلاناً بالذي أتاني عن فلان وهو يظلِمُني، وقد غفرت له»

...فلم يزل يُلحُّ على ربّه في الدُّعاء... ثم زاره بعد ذلك.

* * *

آداب وسُنن

آداب لبس الثياب

(القسم الثاني)

. يحرم لبسُ الثِّياب المخصوصة بالكافرين وأعداء الدين.

ورد في النصِ عن الإمام الصادق عن نبيّ من أنبياء الله تعالى أنَّه قال:

«لا تلبسوا لباسَ أعدائي، ولا تطعموا مطاعم أعدائي، ولا تسلكوا مسالك أعدائي، فتكونوا أعدائي كما هم أعدائي».

وكان منهال عند الإمام الصادق ، وكان يلبس حذاء كما يلبس اليهود (من حيث شكله)... فعدَّلها، بعد أن لفت نظره الإمام إلى ذلك.

وعن أبي الحسن أنَّه نظر لِمَنْ لبس مثل ذلك، ثم قال له مُسْتنكراً عليه: «أتُريدُ أن تتهوَّد؟».

وعن رسول الله (ص) : «غيّروا الشَّيْب ولا تشبَّهوا باليهود».

. تستحب العمامة فإنَّها «تيجان العرب، فإذا وضعوا العمائم، وضع الله عزَّهم».

وعمَّم رسول الله (ص) علياً... ثم قال: «هكذا تيجان الملائكة».

وكانت العمائم على الملائكة يوم بدر.

. يستحبّ أن تكون ألبسة المناسبات والتجمُّل غير ألبسة العمل وكل يوم.

فثياب المناسبات كحفلات الزواج وأيّام الأعياد، ويوم الجمعة... وتُسمَّى «ثياب الصَوْن» وهي للتجمُّل.

أمَّا الثياب اليوميَّة وثياب العمل والخدمة، فهي الَّتي تُلبس دوماً دون مناسبة، وتُسمَّى «ثياب البِذْلة».

. طيُّ الثِّياب ترتيباً لها، من آداب الإسلام.

. عند لبس الحذاء تُقدَّم اليمين قبل اليسار، وعند خلعها تُقدَّم اليُسْرى على اليُمْنى.

الموضوع السادس

التكبُّر

الكِبْر حالة نفسانية للإنسان تدفعه للترفُّع والتعالي على الآخرين من الناس الذين يتعامل معهم، ويظهر ذلك في ملامحه الخارجية وأفعاله وأقواله.

والكبرياء من صفات الله جلَّ جلاله التي يختصّ بها، ولا تكون للعباد، بل الكرامة لهم خلاف تلك الصفة، أي التواضع.

رُوي عن مولانا رسول الله (ص) قوله:

«يقول الله جلَّ وعلا: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فَمَنْ نازعني واحداً منهما ألقيتُهُ في النَّار».

وعن عليّ أمير المؤمنين :

«الحمد لله الذي لبس العزَّ والكبرياء، واختارهما لنفسه دون خلقه، وجعلهما حمًى وحرماً على غيره..».

وفي الحديث عن مولانا الإمام الصادق في توضيح أدنى الإلحاد، فقال: «الكِبر أدناه».

درجات التكبُّر:

وللتكبُّر درجات مختلفة قد يكون سببها صفاتٍ شريفة مباركة لكنَّها مع إهمال تهذيب النَّفس أدَّت إلى الانحراف والضلال، وقد تكون لأسباب خسيسة ساقطة، لكنَّ أهل الدُّنيا تأخذهم العزَّة في الإثم بسببها.

ودرجات التكبُّر ثلاث:

في العقائد، التي قد تكون حقَّةً، وقد تكون باطلة فاسدة.

في الصفات والمَلَكات، التي قد تكون حميدة ممدوحة، وقد تكون مذمومة قبيحة.

في العبادات وفعل الخيرات والباقيات الصالحات التي يُؤجر عليها، ورُبَّما كانت من المعاصي والسيِّئات مع فساد النِّيَّات والباطن.

والحديث عن كلّ هذه الأمور متشعِّب وفيه افتراضات كثيرة يطول عرضها، لذا نقتصر عمَّا هو الأكثر انتشاراً في مجتمعنا لإصلاحه وتجنُّبه وهو الكِبْر الناتج عن الحسب والنَّسب والجاه والشهرة والسلطة والموقع والمال والرئاسة...

التكبُّر الشائع في مجتمعنا:

وله مظاهر شتَّى، فقد يتكبَّر بسبب علمه أو فهمه أو شهاداته أو قوّة تأثيره وبيانه... فيتكبَّر على مَنْ دونه من النَّاس أو الذين يُمكن أن يتغلَّب عليهم، وقد يصل به المطاف، نعوذ بالله تعالى، أن يتكبَّر على النَّبيين والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، فيُناقش ما جاؤوا به وكأنَّه يُناقش فيلسوفاً أو أستاذاً وينتقد ويُصوِّب تحت شعارات مختلفة مبرِّراً فعله هذا كحرية الرأي والحضارة والثقافة!

وقد يترك عبادات ومناسك لأنَّها لا تليق بشأنه أو لا تُناسب تاريخه وما شبَّ عليه.

وقد يحلق لحيته ويُخالف بذلك حُكم الله تعالى بظنِّه أنَّها عادة المتخلِّفين.

وقد يرى الحقَّ فلا يُذعن له، لأنَّه جاء من تلميذه أو زميله، وأمَّا إنْ جاء من صاحب جاه وموقع ومَنْ له مصلحة معه، قَبِل به.

وبعضهم يحرص على ألقاب معيَّنة ليُعرف بها، خاصة إذا قُدِّم على المنابر، وبعضهم يحرص على الصفوف الأولى ليتصدَّرها بحيث يغضب لو لم يكن ذلك.

وبعضهم لا يزور أقاربه أو جيرانه لظنِّه أنَّه أعلى منهم رتبة أو يتميَّز عنهم بأمور.

وقد يحصل التكبُّر بسبب انتسابه إلى عائلة معيَّنة أو منطقة جغرافية أو طبقة اجتماعية أو درجة علمية... فيتَّهم الآخرين، لتبرير تكبُّره، بالسطحية والجهل والغفلة والدونيَّة، فإنْ اضطرَّ للكلام عنهم تناولهم بلفظ «العوام» دلالةً على احتقارهم، أو بأنَّهم قرويون أو «غير مثقَّفين» أو ليسوا بمستوى مناقشته أو مجالسته!

قال سيدنا لقمان على نبيّنا وآله وعليه السلام، لابنه، كما نصَّ القرآن الكريم:

{ولا تصعّر خدك للناس ولا تمشِ في الأرض مرحاً إنّ الله لا يحب كل مختال فخور} (20) .

وقد يحصل التكبُّر بسبب وفْرة المال والعقار فيظن أنَّه أكثر حنكة من النَّاس، وهو الذي سبَّب لنفسه هذا الغِنَى، ويغفل أنَّه قد يفلت منه بين يوم وآخر، والشواهد من حوله كثيرة.

وقد يكون تكبّره بسبب جمال مظهره وحسن خَلْقه، ويحدث ذلك كثيراً من النساء، خاصة في هذه الأيام نتيجة شيوع مفاهيم مغلوطة وقِيَم مقلوبة... ويغفل هؤلاء أنَّ جمالهم يذبل مع الأيّام، وقد يخبو بحادث أو مرض... وأنَّ جمال الباطن هو الذي يرفع درجته وليس جمال الظاهر الذي يُمكن أن يكون وبالاً عليه.

وقد يحصل التكبُّر بسبب علمه ببعض الاختصاصات أو الحِرف أو إذا حصل على شهادات علمية من معاهد معروفة، وهذا الأمر منتشر بين الأطباء والمهندسين وعلماء الطبيعة والرياضيات والآليَّات (الميكانيك)... فيُظهر الواحد ما عنده وكأنَّه ليس موجوداً عند الآخرين، بل ليسوا من مستواه ولا يفهمون ما يفهم، بل ينتقد أعمالهم وآراءهم ووجهة نظرهم ويتعجَّب ممَّا يقولون!

وهذا أمرٌ شائع جداً عند ذوي الاختصاصات.

وقد يظهر الكِبْر بإحاطة النَّفس بهالة رهيبة من التلامذة والمريدين وإدارة الوجه والعبوس كأنَّه غاضبٌ على مَنْ حوله أو تنازل وجلس معهم!

مفاسد الكِبْر:

يكفي أنَّه صفة إبليس اللعين الذي عصى الله سبحانه فتكبَّر، فهو من أعظم الذنوب.

ورد في النصّ المبارك عن علي أمير المؤمنين :

«إيَّاك والكِبْر، فإنَّه أعظم الذنوب وألأَمُ العيوب، وهو حلية إبليس».

وإنَّه سبيلٌ للكفر، لأنَّه لو تعاظم في النَّفس وثَقُل واستقرَّ، لَنَشَبت فيها عناصر الكفر، وهي الخسران المبين التي ليس بعدها خسارة.

قال الله عزَّ وجلّ: {فسجد الملائكة كلهم أجمعون، إلاّ إبليس استكبر وكان من الكافرين}(21).

والتكبُّرُ يصُدُّ عن طريق الجنَّة، حيث أُخرِج مَن كان فيها بسببه، قال الله سبحانه:

{قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبّر فيها فاخرج إنك من الصاغرين}(22).

ولا شكَّ أنَّه يُؤثِّر على النَّفس كما يُؤثِّر على العقل وطريقة التصرُّف ممَّا يشير إلى مرض صاحبه الذي يفتقر إلى علاج سريع.

رُوي عن مولانا الباقر :

«ما دخل قلبَ امرءٍ شيءٌ من الكِبْر إلاَّ نقُص من عقله مثلُ ما دخله من ذلك، قلَّ ذلك أو كثر».

وإن لم يكنْ في التكبُّر إلاَّ مقتُ الله سبحانه لكفى به مفسدةً ورادعاً.

ورد في النصّ عن سيدنا رسول الله (ص) :

«أمقت النَّاسُ المتكبِّر».

علاج الكِبْر:

ما تقدَّم من كلام يكفي ليكون خير علاج لِمَنْ كانت فطرتُهُ سليمة، وإذا أردنا الكلام أكثر فعلى الواحد منَّا أن يلتفت إلى أنَّ من صفات المؤمن: التواضع.

فخاتم أنبياء الله عزَّ وجلّ وعليٌّ أمير المؤمنين والأئمة من ذريَّته المباركة تواضعوا للفقراء والمساكين وكانوا مثالاً يُحتذى.

فالتواضع صفة ملازمةٌ للمؤمن في كلّ سكناته وحركاته: يُلقي السلام على الآخرين، يتبسَّم في وجوههم، يُساعدهم... اقتداءً بسُنَّة رسول الله (ص) الذي كان أكثر الناس تواضعاً، يكره أن يقوم أصحابه له، يأكل على الأرض، يُشارك في أعمال المنزل، يرقعُ ثوبه، يخصف نَعْلَهُ، يطحن ويعجن...

بينما نرى أنَّ الكفار عبر التاريخ وإلى يومنا هذا يتميَّزون بصفة التكبُّر والتفاخر، حتى قد يصل بهم الحال إلى الجحود بالخالق تعالى نتيجة عبارة «الأنا» والعلوّ والتباهي الفارغ.

قال الله تعالى في كتابه المجيد عن أتباع فرعون:

{وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوّاً} (23) .

فَمَنْ أحسَّ بنفسه صفة التكبُّر، والعياذ بالله، وبدأ علاج نفسه، كان عليه ابتداءً أن يقتديَ في سلوكه بأنبياء الله عزَّ وجلّ.

يصف أمير المؤمنين تواضع الأنبياء كما في نهج البلاغة المبارك: «فلو رخَّص الله في الكِبْرِ لأحد من عباده، لرخَّص فيه لخاصة أنبيائه وأوليائه، ولكنَّه سبحانه كرَّه إليهم التكابر، ورضي لهم التواضع، فألصقوا بالأرض خدودَهم، وعفَّروا في التراب وجوهَهم، وخفضوا أجنحَتَهم للمؤمنين».

أمَّا النَّبي المصطفى فكان له شأنٌ آخر، حتى أنَّ جبرائيل عرض عليه مفاتيح الأرض ثلاث مرَّات وكان دائماً يختار التواضع، وكان فقيراً، ولا يخجل لذلك، وعندما عُرِض عليه أن يكون عبداً أو ملِكاً، مع احتفاظه بالنبوّة، كان يختار أن يكون نبيّاً عبداً، ليكون أقرب للفطرة البشرية ويبتعد عن روح التكبُّر وعبادة أصنام الذات والشخص.

وكان يأكل على الأرض، ويقعد على الأرض، ويُجيب دعوة الفقراء، ولا يُفرِّق بين الناس في عُنْصرهم وطبقتهم،... كما كان إذا وجد تمرة ملقاة على الطريق يأخذها ويضعها في فمه... طويل البال على مَن يؤذيه بثقل دمه، أو يتصرّف بغير اللائق في حضرته ، يجالس الفقراء، ويُحادثهم...

وقد روي عن الباقر أنَّه كان يقول: «خمس لا أدعهُنَّ حتى الممات: الأكل على الحضيض مع العبيد، وركوبي الحمار مؤكَفاً، وحلبي العنز بيدي، ولِبْس الصوف، والتسليم على الصبيان، لتكون سنّةً من بعدي.

لقد كان يجالس أصحابه كأحدهم، دون تمييز في المكان أو اللباس... ودون أن يتخذ لنفسه شعاراً أو تاجاً أو كرسياً ليميز نفسه عن الآخرين، إلى درجة أنَّ الزائر لم يكن يعرف مَن هو النبي، إذا كان مع أصحابه... حتى اضطرَّ الصحابة في النهاية أن يبنوا له مَصْطَبَة من الطين ليجلس عليها، فيعرفه الغريب من باقي أصحابه وزوّاره.

ومن العلاج أيضاً أن يتذكَّر الإنسان مآله ومصيره، ومن أين جاء ولم يخلُ لحظة من حالة الضعف والفاقة وخطر المرض والموت والألم والجوع والعطش ثم ينزل به الموت لا محالة كما نزل بالذين من قبله.

رُوِي عن أمير المؤمنين :

«عجبتُ لابن آدم، أوَّلُهُ نطفة وآخره جيفة، وهو قائم بينهما وعاءٌ للغائط، ثم يتكبَّر!».

وعلى المعالج لنفسه أنْ يعلم أنَّه لا يليق به إلاَّ التواضع والذلَّة لله تعالى ليصل إلى الدرجات العُلى وجنَّات الخُلْد وأنَّ التكبُّر مانعٌ أكيد عن ذلك، قال الله تعالى:

{فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين} (24) .

* * *

نصوص مباركة

عن رسول الله (ص) أنَّه قال:

«أمقت الناس المتكبّر».

«إنَّ في السّماء ملكين موكّلين بالعباد فمن تجبّر وضعاه».

«مَنْ تواضع لله درجةً يرفعه الله درجةً حتّى يجعله الله في أعلى علّيين، ومن تكبَّر على الله درجة يضعه الله درجة حتّى يجعله في أسفل سافلين...».

«يحشر الجبّارون المتكبّرون يوم القيامة في صور الذّر يطؤهم النَّاس لهوانهم على الله تعالى».

وعن أمير المؤمنين أنَّه قال:

«عجبت لابن آدم أوَّله نطفة وآخره جيفة، وهو قائم بينهما وعاءٌ للغائط ثمَّ يتكبّر!».

وعن الإمام الصادق :

«إنَّ في جهنَّم لوادياً للمتكبِّرين، يقال له: سقر، شكى إلى الله عزَّ وجلّ شدّة حرّه وسأله أن يأذن له أن يتنفّس، فتنفّس فأحرق جهنَّم».

* * *

آدابٌ وسُنن

آداب التَّختُّم (25)

. التَّختُّم (لبس الخاتم) مستحبّ للرجال والنساء.

(مع ملاحظة أن لا يكون ذلك زينة للنساء خاصة، فإذا كان كذلك، لا يسقط الاستحباب بلبسه في البيت، أو في الصلاة، أو بين النساء، أو بين محارمها، أو حيث لا يراها الأجنبي...).

. يستحبّ التختُّم باليد اليمنى... ويجوز باليسرى.

وكان النَّبي يتختَّم بيمينه (26) ، كذلك كان أمير المؤمنين (27) .

وقد مدح الله أصحاب اليمين (28) .

والتختُّم باليمين هو علامة الشيعة يُعرفون بها، وبالمحافظة على أوقات الصَّلاة، ومواساة الإخوان، والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر.. فهو من شيمة المؤمن.

ومَنْ أراد بتختُّمه باليمين سُنَّة رسول الله (ص) ، أخذه جبرئيل يوم القيامة بيده وأوصله إليه صلَّى الله عليه وآله (29) .

. التختُّم بالسَّبَّابة والوسطى من عادة قوم لوط، لذا ورد النَّهي عن التختُّم فيهما.

(إذا بدأنا من الخنصر فتكون الوسطى الإصبع الثالث، والسَّبَّابة الإصبع الرَّابع، وهو قبل الإبهام مباشرة).

. إنَّما يكون التختُّم بالخنصر، والإصبع الذي يليه مباشرة (البنصر).

. يستحبُّ التختُّم بالعقيق الأحمر فإنَّه أوّل جبل أقرَّ لله عزَّ وجلَّ بالوحدانيَّة، ولرسول الله (ص) بالنبوَّة... (30) .

ولبس العقيق:

أ . ينفي الفقر.

ب . ينفي النِّفاق.

ج . مَنْ تختَّم به قُضيت حوائجه.

د . والعقيق أمان في السَّفر.

هـ مَنْ لبسه يقضى له بالتي هي أحسن، ولا يرى مكروهاً بإذن الله سبحانه.

و . ومَنْ تختَّم به يُحرس من كل سوء.

ز . وهو أمان من السلطان الجائر، ومن كلّ ما يخاف الإنسان ويحذر.

ح . يستحبّ خاصة عند الدعاء «فإنَّ الله يُحبُّ أن تُرفع إليه في الدعاء يدٌ فيها فصّ عقيق» (31) .

«فما رُفعت كفٌّ إلى الله أحبُّ إليه من كفٍ فيها عقيق» (32)

ط . الصلاة بخاتم من عقيق أفضل من الصلاة بغير عقيق.

(لذا ينبغي الحرص على لبسه في الصلاة، ولا بأس للنساء إنْ لم يَلْبَسْنَهُ دائماً بل يَجْعَلْنَهُ مع لوازم صلاتهن في سجادة الصلاة، كما جرت العادة).

وعن الصادق قال: «صلاة ركعتين بفصّ عقيق، تعدل ألف ركعة بغيره» (33) .

ي . «والعجب، كلّ العجب، مِن يدٍ فيها فِصُّ عقيق، كيف تخلو من الدنانير والدراهم» (34) .

الموضوع السابع

الحسد

هو حالة نفسية مذمومة يتمنّى صاحبُها سلبُ النِّعمة، أكانت مادية أم معنوية، عن الآخرين.

وفي النصِّ الشريف عن مولانا الباقر :

«إنَّ الحسد ليأكل الإيمان كما تأكل النَّار الحطب».

وورد أنَّ الحسد جحودٌ وحسرةٌ، نعوذ بالله تعالى، ومن الأفضل أن يكون الإنسان محسوداً على أن يكون حاسداً.

عن أبي عبد الله قال: قال رسول الله (ص) : قال الله عزَّ وجلّ لموسى بن عُمْرَان: «يابن عُمْران لا تَحسدنَّ النّاسَ على ما آتيتُهم من فضلي، ولا تمدَّنَّ عينَيْكَ إلى ذلك، ولا تُتْبِعْهُ نفسَك، فإنَّ الحاسدَ ساخطٌ لِنعمي، صادٌ لِقِسمْي الذي قسمتُ بين عبادي، ومَنْ يكُ ذلك فلَستُ منه وليس مني».

والحسد قد يقع عن تكبُّر أو حقد أو عداوة تجاه مَنْ يحمل صفات معنوية حميدة أو يُوفَّق لأعمال عبادية أو يمتلك مالاً أو جاهاً أو رئاسة.

المؤمن يغبط ولا يحسد:

بعض الناس ينسب إلى نفسه صفة الحسد ليُعبّر عن رغبته في الحصول على ما حصل عليه أخوه، وهذا خطأ لأنَّ الحسد كبيرة موبقة تُعبّر عن كره النِّعمة وحبِّ زوالها، والصحيح أنَّه إذا تمنَّى ما عند الآخرين، دون حبِّ زوال النِّعمة عنهم، فهذا أمرٌ جائز ويُسمَّى غبطة.

وفي النصِّ الشريف عن مولانا رسول الله (ص) :

«المؤمن يغبط والكافر يحسد».

والحسد حرام على كلّ حال إلاَّ إذا وقع على كافر أو فاجر يستعين بِنِعَمِ الله عزَّ وجلَّ لإثارة الفتنة.

أسباب الحسد وأكثر موارده:

لا شكّ أنَّ الحسد يقع عن ذلٍّ في النَّفس عندما يرى كمالاً في أقرانه ورفاقه، بعكس التكبُّر حيث يجد كمالاً في نفسه دون غيره فيترفَّع عليهم.

لذا يكثر الحسد بين أهل البيئة الواحدة وأصحاب الصفات المتشابَهَة أو المشتركة، فيكون بين تاجر وتاجر، وبين طبيب وزميله، ومهندس ورفيقه، وتقني ونظيره، وعالمٍ وآخر، وبين الرجل وقريبه.

وينتج ذلك عن العداوة والمنافسة وحبِ التعالي والعُجْب وحبّ الرئاسة وخُبْث السريرة.

قال الله عزَّ وجلّ: {ما أنتم إلاّ بشر مثلنا} (35) .

وقال سبحانه: {إن تمسسكم حسنة تسوؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها} (36) .

وقال جلَّ جلالُه عن بغض أهل الكتاب للمسلمين:

{ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفّار حسداً من عند أنفسهم} (37) .

آثار الحسد:

تبيَّن أنَّ الحسد يورث الحقد والبُغْض والهمَّ ويزيد من أمراض القلب المُهْلكة.

والحسود ساخطٌ على خالقه سبحانه، يتمنَّى السوء لأخيه، راغبٌ في الدنيا، دائم الخوف والحزن وعبوس الوجه... وهذا بخلاف أهل الإيمان الذين يحملون في قلوبهم نوراً يشرح الصدور ويُمكِّنُ الرِّضا والقناعة، وهذا يتعارض مع ظلام الحسد.

وفي مراحل متقدمة، ومع التمادي دون إصلاحٍ وردعٍ للنَّفس، قد يُؤدِّي الحسد لا سمح الله، إلى الغِيْبة والنميمة والكذب والافتراء واختراع الوقائع، لتبرير حسده... وهذا يضرُّ به دون المحسودين، الذين يتنعَّمون بما وهبهم الله تعالى، بينما هو يغتمُّ ويحزن... ويموت بطيئاً بكَمدِهِ.

وفي النصِّ عن علي أمير المؤمنين :

«الحسد يُضْني الجسد».

وعنه أيضاً: «الحسود أبداً عليل».

علاج الحسد:

على مَنْ يجد في نفسه هذه الصفة القبيحة أن يُعاجل علاجها قبل أن تتجذَّر وتُصبح جزءاً من شخصيته، فالنبتة الخبيثة يُقْضى عليها بسرعة في أيامها الأولى ما لم تتجذَّر، أمَّا لو تُركت فتمكَّنت تُصبح كالشجرة القويَّة التي يصعب اقتلاعها.

فالتأخّر يزيد في الصعوبة، وكُلَّما زاد زادت.

والعلاج يكون إضافة لِما تقدَّم، والذي ينبغي أن يكون كافياً لأهل القلوب الصافية، بإظهار المحبَّة لِمَنْ كنتَ تحسُده واحترامه، وذلك مخالفةً لهوى النَّفس، وأن تذكر مَحاسنه وصالحَ أعماله وصفاته الجميلة علناً أمام النَّاس، لأنَّ النِّعم التي عنده هي من عطايا الله الجليلة التي لا يجوز الاعتراض عليها والتسخُّط، فهو لم يخرجْ عن كونه عبداً لله عزَّ وجلّ، والمتفضِّل هو الله تعالى الذي يسأل ولا يُسْأل، والمصلحة الواقعيَّة لا نُدركها بعقولنا القاصرة.

قد يكون العلاج صعباً في بداية الأمر، لكنْ مع العزم والهِمَّة والإخلاص تتيسَّر السُّبُل، ويتكفَّل الله سبحانه بالتسديد.

يقول الشيخ الجليل والعارفُ الكبير الشاه آبادي، رحمه الله تعالى: «الإنسان في عزّ شبابه وقوَّته، يكونُ أقدر على ردِّ مفاسده الخُلُقية، فإذا أصبح شيخاً زاد ضعفُه وضعُفت همَّته وسهل استسلامُه».

نصوص مباركة

عن رسول الله (ص) :

«إيَّاكم والحسد فإنَّ الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النّار الحطب».

وعن أمير المؤمنين :

«صحّة الجسد من قلّة الحسد».

وعنه :

«الحسد يضني الجسد».

ورُوي عنه قوله:

«الحسد يذيب الجسد».

وأيضاً رُوي عنه :

«ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد، نفس دائم، وقلب هائم، وحزن لازم».

وفي النصِّ أنَّه قال:

«يكفيك من الحاسد أنَّه يغتمّ وقت سرورك».

آداب وسُنن

آداب وسُنن الوضوء

. عدم الإسراف في الماء.

. الاستياك (38) بأي شيء ولو بالإصبع، والأفضل عُودُ الأراك (39) . وقد ورد أنَّه كاد أن يكون واجباً عند الوضوء.

. المضمضة والاستنشاق.

. الاغتراف باليد اليُمْنى.

. أن يبدأ الرجل بظاهر ذراعيه، والمرأة بباطنهما.

. قراءة سورة القدر حال الوضوء، وآية الكُرْسي بعده.

. فتح العينين حال غَسْل الوجه.

. إمرار اليد على مواضع الغَسْل في الوضوء، وإن حصل الوجوبُ بدون ذلك.

الموضوع الثامن

البلاء

من جملة السُّنن التي جعلها الله الحكيم جلَّ جلاله في خلقه، سُنَّة البلاء، التي لا ينجو منها بشر ليُمْتَحَنَ ويُخْتَبَر.

فكُلُّ ما يَمْتَحِنُ الله سبحانه عباده به يُسمَّى بلاءً، إنْ كان خيراً أم شرّاً، قال عزَّ وجلّ: {ونبلوكم بالشرّ والخير فتنة} (40) كالأمراض والفقر والموت والعدو والحسد والوجع والنقص في الأموال والأنفس والثمرات... والجاه والزعامة والمسؤولية.

أمَّا إذا ذُكر البلاء مُطْلَقاً فُهم منه المعنى الأول.

ورد عن أبي جعفر الباقر :

«إنَّ الله تعالى ليتعاهَدَ المؤمنَ بالبلاء كما يتعاهدُ الرجلُ أهلَهُ بالهدية من الغَيْبة، ويحميه الدنيا كما يحمي الطبيبُ المريض».

وكلَّما تقدَّم الإنسانُ نحو الآخرة، بعُدَ عن الدنيا، وغمرته عناياتُ الحقِّ تعالى، تماماً، كالإنسان الذي يحملُ مصباحاً في طريقٍ مظلم، كلَّما تقدَّم خطوةً، اهتدى للخطوة اللاحقة.

ولعلَّ إيثار الأنبياء والأولياء للفقر على الغنى، والابتلاء على الراحة، والمعاناة على الرفاهية لعلمهم أنَّ الله تعالى لا ينظر إلى الدنيا وزخرفها، ولذلك امتنع رسول الله (ص) عن قبول مفاتيح خزائن الأرض مع ضمان درجاته الأُخْروية.

الحكمة من البلاء:

جعل الله تعالى البلاء تذكرة للناس لكيْ لا يستغرقوا في لذائذ الدنيا وشهواتها فيتعلَّقون بها ويَنْسونَ الآخرة، فالبلاء مُنْذِرٌ بضعف الإنسان وفاقته وعجزه وأنَّه في أحيان كثيرة لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً.

والإنسان بطبعه، كُلَّما انهمك في اللذائذ والمشتهيات زاد تعلُّقه بالدنيا قسراً ومن دون اختيار، فيركن إليها ويعتمد عليها ويغفل عن آخرته.

أمَّا مَنْ ذكَّرتْه وأنذَرَتْه بآلامها ومشاكلها وفِتنها، فلا بُدَّ أن يخفَّ تعلُّقُهُ بها ويُحبُّ الرحيل عنها إلى الله تعالى.

فمن رحمة الله تعالى أن يبعد العبد عن زخرف الدنيا ويتوجّه إلى الآخرةِ التي إليها مآله، فلو لم يكن من فائدة البلاءِ إلاَّ هذا، لكفى..

إضافة إلى ذلك فإنَّ مقتضى العدالة الإلهية أن لا يتساوى الناسُ في الأجر ولا تتساوى درجات الجنَّة كذلك إلاَّ بقدر التضحيات والصبر والاحتساب.

قال الله تعالى: {ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم} (41) .

المؤمن يُبْتلى أكثر من غيره:

يقول الله تعالى: {ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب}(42).

فقد شاء الله سبحانه وتعالى أن يجعل من سنّته شدَّة في ابتلاء المؤمنين، أكثر من غيرهم، وذلك إمَّا زيادة في ثوابهم، وإمَّا رفعة في درجاتهم، وإمَّا تكفيراً عن ذنوبهم، وإمَّا زيادة في تضرّعهم، أو حبّاً في دعائهم ومناجاتهم وسماع نبرة أصواتهم... وفي كل ذلك فخر، وشرفٌ، وتفضّلٌ، وعناية خاصة من الله تعالى للمؤمنين، وإكراماً لهم.

لذا كان من أدب المؤمنين مع خالقهم جلّ وعلا، أن لا يسألوه تخفيف البلاء، ولكن يسألونه سبحانه، القدرة على الصبر، والقوة على التحمّل... فلا يسألونه حملاً خفيفاً بل ظهراً قوياً، متجلِداً، راضياً بالبلاء، مبتغياً الأجر والثواب.

قال أمير المؤمنين : «إنَّ البلاء أسرع إلى المؤمن التَّقي من المطر إلى قرار الأرض».

الأنبياء والأولياء يُبْتلون أيضاً:

فهم القدوة للعالمين لذا امتحنهم الله سبحانه بأنواع الابتلاءات والمصائب فعُذِّبوا وشرِّدوا وحوربوا واتُّهموا... كأكثر ممَّا أصابنا بكثير، لكنَّهم صبروا واحتسبوا وانتصروا.

وعندما نعرف ما جرى معهم نأنس في وحدتنا وغربتنا، ونقتدي بهم ونجد في حياتهم وسلوكهم مُخفِّفاً لآلامنا، ومُسكِّناً لأنفسنا، وأنَّ البلاء الشديد يُصيب الأحباب والمقرَّبين والمنتجبين وفي مقدَّمهم سيدنا ونبيُّنا محمّد الذي مُحِّص بالبلاء تمحيصاً، فكان الأكثر بلاء ورضا.

ورد في النصّ المبارك عن الإمام الصادق :

«إنَّ أشدَّ النَّاس بلاء الأنبياء ثم الذين يلونهم ثم الأمثل فالأمثل».

وكان بعضهم، يقتل أو يحرق، أو تُقطع يده ورجله ويصلب حيّاً، كما يروي الإمام زين العابدين عن آبائه .

وروي عن رسول الله (ص) قوله: «كان الرجل قبلَكم، يؤخذ فيحفر له الأرض فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار، فيوضع على رأسه، فيشقُ باثنين، ما يصدُّه ذلك عن دينه، ويُمشّط بأمشاط الحديد، ممَّا دون لحمه من عظم أو عصب، ما يصدّه ذلك عن دينه».

أَوَ نَسينا أصحاب الأخدود، الذين أُسروا، وجُعل لهم في الأرض أخدود من نار، ثم جُعِلوا فيها، حتى أنَّ امرأة منهم، رضوان الله عليها، أتت ومعها صبيٌّ، فهابت النار، فأنطق الله سبحانه صبيَّها منادياً: أُمّاه، اقتحمي، فاقتحمت النار، كلُّ هذا للمحافظة على الدين.

أمْ نسينا إسماعيل رضوان الله عليه، الذي ذُكر في الآية المباركة (54) من سورة مريم وهو غير اسماعيل بن إبراهيم حيث سلّط عليه قومه، فكشفوا وجهه وفرْوة رأسه.

وسلام الله على الإمام الصادق، الذي يقول عندما يشرح حالة هؤلاء: «فاسألوا ربّكم درجاتهم، واصبروا على نوائب دهركم، تُدركوا سعيهم».

البلاء كرامةٌ:

أيها الأخ العزيز يتبيّن لنا ممَّا تقدّم، أن نزول البلاء بنا، لا ريب فيه، وأنَّه يكبر مع كبر إيماننا. ولا يكون ذلك إلاَّ لترويضنا على التحمّل، وتعليمنا على الصبر، ولتصحيح إيماننا الذي يمكن أن ينحرف بسبب دوام الرخاء، أو كثرة الرفاهية، أو حبّ الدعة والراحة، فيأتي البلاء مُصحّحاً للسيرة، ومُقوّياً للمسيرة.

يقول الصادق : «البلاء زين للمؤمن، وكرامة لمن عقل، لأنَّ في مباشرته، والصبر عليه، والثبات عنده، تصحيح نسبة الإيمان».

حتى أنَّ بعض الروايات المباركة، تشير بصريح العبارة إلى أنَّ البلايا محشوة، بالكرامات الأبدية، والمِحن تورّث رضا الله سبحانه وقربه، وإن لم يكن هذا عاجلاً. فهل أفضل من هذا الإرث، وهذه الكرامة؟

بل إنَّ روايات أخرى، تشير أيضاً، أنَّ مدح الله سبحانه لبشر، لا يكون إلاَّ بعد البلاء، وهذا مظهرٌ واضح من مظاهر الامتحان، الذي لا يُمدح صاحبه، إلاَّ بعد إجرائه وصدور نتائجه... فليس من عبد من عباد الله أو بشر، ذكر مدحه في القرآن الكريم، أو الروايات والأحاديث الشريفة، إلاَّ كان ذلك بعد جملة ابتلاءات، استحقّ على أثرها المدح الإلهي، والكرامة الربّانية، والمنحة القدسيَّة.

فالرضا الربّاني هذا، الذي ما بعده درجة ولا كرامة، تكون بدايته بلاءات، ونهايته كرامات، هي منتهى درجات المسافرين إلى الله، المهاجرين إلى رحمته، السالكين سبيله، كما يقول الإمام الصادق : «ما أثنى الله تعالى على عبدٍ من عباده، من لدن آدم إلى محمّد إلاَّ بعد ابتلائه، ووفاء حقِّ العبودية فيه، فكرامات الله في الحقيقة نهايات، بداياتها البلاء».

أخي المؤمن

أيُّها الحبيب

تخيَّل نفسك، كم أنت بعيد عن الله، يا أخي، لو كنت مأمون الجانب من المرض أو الفقر أو الموت... وماذا كان يمكن أن يقع، لو أنَّ أنواع البلاء رُفعت عنّا؟ أليس أكثر الناس يطغى، ويبغي فساداً في الأرض. وبالرغم من ضعفنا وتعرّضنا للمخاطر، فإنَّ الكثير منَّا ينحرفون عن جذورهم الإنسانية والخُلُقية. فقد روي عن رسول الله (ص) قوله: «لولا ثلاثة في ابن آدم، ما طأطأ رأسه شيء: المرض، والموت، والفقر، وكلُّهنّ فيه، وإنَّه لمعهُنَّ لوثَّاب».

* * *

نصوص مباركة

قال الله عزّ وجلّ:

{ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب} (43) .

{وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين، وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين، أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين}(44).

وروي عن سيدنا رسول الله (ص) :

«لا تكون مؤمناً حتّى تعدّ البلاء نعمة، والرّخاء محنةً لأنَّ بلاء الدّنيا نعمة في الآخرة، ورخاء الدّنيا محنة في الآخرة».

وعن مولانا علي بن الحسين :

«إنِّي لأكره أن يعافى الرّجل في الدّنيا ولا يصيبه شيء من المصائب».

قال رجل للباقر والله إنِّي لأحبّكم أهل البيت قال :

«فاتّخذ للبلاء جلباباً فوالله إنَّه لأسرع إلينا وإلى شيعتنا من السّيل في الوادي، وبنا يبدأ البلاء ثمّ بكم، وبنا يبدأ الرّخاء ثمّ بكم».

وعن مولانا الصادق :

«البلاء زين للمؤمن، وكرامة لمن عقل لأنَّ في مباشرته، والصّبر عليه، والثّبات عنده، تصحيح نسبة الإيمان».

وعن مولانا الكاظم :

«مثل المؤمن مثل كفّتي الميزان كلّما زيد في إيمانه زيد في بلائه، ليلقى الله عزَّ وجلّ ولا خطيئة له».

آدابٌ وسُنن

آداب الطعام (45)

(القسم الأول)

. يُكْرهُ قطع الخبز بالسكين (تُقطَّع بالأيدي).

. يكره أكل الطعام الحارّ (يُنتظر حتى يبرد من تلقاء نفسه) ولا ينفخ فيه إذا كان معه غيرُهُ (46) .

. يستحب الأكل عن جوع، ويكره إدخال الطعام على الطعام.

. يُسْتحبّ أن يأكل الإنسان مرَّتين في النَّهار، دون أن يأكل بينهما شيئاً، واستشهد الإمام الصادق على ذلك (47) بقوله تعالى: {ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيّا} (48) .

. يستحب الأكل بثلاث أصابع، الإبهام والتي تليها والوسطى، ولا بأس بالزِّيادة.

. يستحب مسح الصحن من الطعام تماماً، وفي ذلك تعظيمٌ لِنِعَمِ الله وعدمِ احتقار شيء منها، حتى القليل، كبضع حبيبات من الأَرُزِّ، وآثار المَرَق والطعام...

وللأسف، فإنَّ هذه السُّنَّة المباركة تُخرق في هذه الأيام كثيراً، تهاوناً أو تحقيراً لقليل الطعام!

وأصبح من المألوف في هذا العصر رميُ الطعام المتبقِّي في الصحون أو ما يَفْضُلُ من «السندويشات»، أو الخبز...

ولهذا آثاره السيِّئة على الجيل الصاعد، ومخالفٌ للتربية الصحيحة، فالمفترض تعويد الأولاد على سَكْب مقدار حاجتهم في صحونهم، ولو تعدَّد ذلك منهم.

. يُستحبُّ جمعُ فُتاتِ الخبز عن المائدة، في الكفِّ، وأكلُها.. لا كما يحدث اليوم من جمعها بقطع قماش «للتنظيف»، ثم رميها.

وهل النظافة تكون من الخبز؟

وجمعُ ما وقع من الطعام وأكلُه، شفاء من كلّ داء، وينفي الفقر، ويكثر الولد، ومَهْر الحور العين.

أمَّا مَنْ أكل في البرِّيَّة أو خارجاً، فَلْيَتْرُك ما يسقُطُ منه للطير والسَّبْع.

وكان أبو عبد الله بعد الطعام يتتبَّع ما هو مثل السمسمة ليأكله ففيه الشفاء.

الموضوع التاسع

الصَّبر

ورد في النصِّ المبارك عن مولانا الصادق :

«الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد، كذلك إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان».

والصبر هو «كفُّ النَّفس عن الجزع عند حلول مكروه».

الصبر ضرورة للدنيا والآخرة:

إنَّ الحياة التي نعيشها مليئة بالمفاجآت التي كما يُمكنُ أن تكون خيِّرةً وجميلة، يُمكنُ أن تحمل معها المتاعب والمصاعب لتُصبح الحياة عندها شاقَّة عسيرة.

فإذا استسلم الإنسان لنوائب الدهر لا بُدَّ عندئذٍ من أن ينهار تحت وطأة الأحداث جزعِاً خائفاً، يجرُّ متاعبه معه، مُنْتقلاً من خسارة إلى خسارة، خاسراً لراحته النفسية، غارقاً في لُجج التعاسة وغمرات الخوف.

والحلُّ الوحيد لهذه الحالة هو الصبر الذي كان شعار الصالحين في الأُمم السالفة يستعينون به على طوارىء الأيام ومفاجآت الزمان والذي يهبهم قوَّة الاستمرار لمواجهة ما يُحيط بهم.

فلا يُمكنُ لامرىءٍ أن يصل إلى هدف من أهداف الدنيا أو أن ينهج طريق الآخرة إلاَّ بالصبر.

الصبر نهج الأنبياء والصالحين:

فقد حدّثنا القرآن الكريم، كما حدّثتنا الروايات والأحاديث المباركة، وكذلك كتب الحكمة والموعظة والتاريخ، حدّثتنا جميعها عن ملاحم في الصبر والصابرين، والثبات والثابتين، والاحتساب والمحتسبين، حيث يتيقن الإنسان أنَّه لولا الصبر، ما قام للدين عمود، ولا اخضرّ للإسلام عود، ولَمَا وصلتنا العلوم والمواقف النافعة والناجعة... ولولا الصبر، ما أُحقَّ حقٌّ في الدنيا، ولا انتصر مستضعف، ولا وصلت مسيرة إلى هدفها.

يقول الله سبحانه مادحاً الذين سبقونا من أهل الهدى واليقين، مشيراً إلى صفة الصبر فيهم: {وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لمّا صبروا} (49) .

ويقول سبحانه عن أهل العمل الصالح، والدعاة إلى طاعته، الذين يدفعون السيئة بالحسنة، مدللاً على جزائهم: {وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم} (50) .

هذه الصفات الشريفة، لا تكون لأي إنسان بمجرّد إرادته، إنَّما تكون بعد طول عمل واحتساب ومجاهدة نفس.

أمَّا أنبياء الله سبحانه وتعالى، فلا تجد واحداً من بينهم جميعاً، إلاَّ وقد وُصف بالصبر، لأنَّهم تحمَّلوا كلَّ مكائد ومخطّطات ومكر الكفّار والجاحدين، واستمرّوا دعاةً لمسيرة التوحيد، فلولا صبرهم، ما بقي للموحِّدين عينٌ ولا أثر في هذه الدنيا، وهذا مخالف لما بُعِثوا إليه ، وهم، إنَّما بُعِثوا ليبشِّروا وينذِروا ويُبلِّغوا ويصبروا، بل ليكونوا مثالاً ونموذجاً عالياً للصبر والتحمّل والمثابرة في تحقيق الحق، وإحقاقه، ورفعِ شعاراته ونواميسه.

من هنا، كان الأنبياء، على نبيّنا وآله وعليهم جميعاً أفضل الصلوات والتسليمات، كانوا النموذج الأرفع والأسمى للصبر حتّى اتَّصفوا فيه، وعُرِفوا به، ولولا ذلك لم يُعَدُّوا من الكاملين، لأنَّ مَن افتقد هذه الصفة، لا يُعتبر كاملاً

في تهذيب نفسه وتزكيتها، وقد أشار الإمام الصادق في تحف العقول إلى ذلك المعنى بقوله: «لا ينبغي... لمن لم يكن صبوراً أن يعدَّ كاملاً».

فالأنبياء هم الكاملون بصبرهم، كما أنَّهم الكاملون بإيمانهم، وعقيدتهم ويقينهم وقلوبهم ونفوسهم... ولذا امتدح الله سبحانه في كتابه المجيد، سادتهم ووصفهم بأولي العزم، لقوّة عزمهم وجَلَدهم، وسمّاهم بهذا الاسم، مخلَّدين في القرآن الكريم فقال سبحانه: {فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل} (51) .

فأنبياء الله عزَّ وجلّ هم مثالنا في الصبر والاحتساب لتحصين الإيمان وصيانته {والله يحب الصابرين} (52) .

الصّبر سُنَّةٌ جارية:

فَمَنْ أراد الوصول إلى الهدف الاقتصادي أو الاجتماعي أو تحقيق نصرٍ سياسي أو عسكري والوصول إلى تطبيق حكم الله في الأرض، يحتاج إلى صبر يرفده.

رُوي عن سيدنا عيسى ابن مريم على نبيّنا وآله وعليه السلام:

«إنَّكم لا تُدركون ما تُحبُّون إلاَّ بصبركم على ما تكرهون» (53) .

وهذه القاعدة جارية في كل البشر حتّى الكفار منهم، فتراهم يصبرون ويتصبّرون، ويثابرون بجدّ للوصول إلى أهدافهم، بدءاً من بناء مستشفى أو مدرسة أو مؤسّسة، وانتهاءً ببناء حكومة أو دولة أو كيان... وربما يتسلّطون على بلاد أخرى. فهل تظن أنهم لو تضجَّروا وتذمَّروا وتأفَّفوا، هل تظن أنَّهم يصلون إلى ما وصلوا إليه؟!

وإذا كانوا هم كذلك، فكيف بنا نحن؟! وإمامنا عليٌّ يقول: «بالصبر تدرك الرغائب» (54) .

إنَّ إعداد العُدَّة والتأهّب إنَّما يكون بالصبر، إن كان للوصول إلى الهدف أو لمواجهة الهموم، أو نوائب الدَّهر، أو المصائب، أو الفقر، أو البلايا والرزايا والأعداء والافتراءات والحسد والاعتداء أو التخطيط والتدريب والجهاد والقتال... والسَجْنِ والأسر والظلم والقهر.

وقد جعل الله سبحانه من سّنته إصابة البلاء للبشر، وبشَّر الصابرين على صبرهم فقال تعالى: {ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشّر الصابرين، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون}(55).

إننا في زمانٍ لا ينجو فيه إلاَّ مَن استعان بالله، وتوكّل على الله، واحتسبَ عند الله سبحانه، وأرجع أموره كافّة إليه جلَّ وعلا. كما أننا في زمان، تشتدّ فيه الحاجة إلى صبرٍ مقيم للمحافظة على الدين والتقوى والورع، حتّى لا نُفْتَنَ بسلطة أو رئاسة أو مُلْك أو مال، في زمانٍ هو أكثر الأزمنة فتنة ولا يمكن اجتيازه بسلام إلاَّ إذا تسلّحنا بصبر عظيم، وقد قال رسول الله (ص) : «يأتي على الناس زمانٌ، لا ينال فيه الملك إلاَّ بالقتل والتجبُّر، ولا

الغنى إلاَّ بالغصب والبخل، ولا المحبّة إلاَّ باستخراج الدين واتّباع الهوى، فمن أدرك ذلك الزمان، فصبر على البُغْضة وهو يقدر على المحبة، وصبر على الفقر وهو يقدر على الغِنى، وصبر على الذُّلّ، وهو يقدر على العزّ، آتاه الله ثواب خمسين صدّيقاً، ممَّن صدَّق به».

والمؤمن الصادق يُروِّض نفسه على الصبر والرضا بقضاء الله وقدره، لأنَّه لا يبلغ حقيقة الإيمان حتّى يعلم: أنَّ ما أصابه ما كان ليخطئه، وما أخطأه ما كان ليصيبه... وأيضاً أن يعلم أنَّ قضاء الله نافذ على كل حال، إنْ كان ذلك برضاه، فيمضي القضاء، ويؤجر،... وإن كان ذلك بغير رضاه، فيمضي القضاء أيضاً، بلا استئذان منه، فلا يؤجر.

ففي كلتا الحالتين: القضاء نافذ... فعليه أن يكون حكيماً ويصبر ليحصل على الأجر، ويُخفِّف من المصيبة، ويحاصرها. ولا يكون أحمق، فلا يصبر ولا يحصل على الأجر، ويزيد مصائب إلى مصيبته... وعلى الرغم من ذلك لا يُقدّم، ولا يؤخّر، ولا يُغير، ولا يُبدّل... والقضاء ماضٍ عليه.

وروي عن علي قوله: «إنَّك إن صبرت، جَرَتْ عليك المقادير وأنت مأجور، وإنَّك إن جزعت، جَرَتْ عليك المقادير وأنت مأزور».

ويقول أمير المؤمنين : «إنْ تصبر تغتبط، وإنْ لا تصبر يُنْفذ الله مقاديره، راضياً كنت أَم كارهاً».

الصبر في حياة السَّلف الصالح:

هكذا كانت سيرة السَّلف الصالح، وأهل الزلفى والقربى، وفي مقدَّمِهم حبيب القلب سيدنا محمّد ... فلمَّا تُوفي ابنه الطاهر ورأى أُمّه خديجة رضوان الله عليها تبكي، قال لها : «أما ترضين أن تجديه قائماً لك على باب الجنة؟ فإذا رآك أخذَ بيدكِ، فأدخلكِ الجنَّة، أطهرها مكاناً، وأطيبها» فاستغربت من قوله فسألَته مستفهمةً عن ذلك، فتابع قائلاً: «الله أعزُّ وأكرم من أن يسلبَ عبداً ثمرة فؤاده، فيصبر ويحتسب ويحمد الله، ثم يعذّبه». أي أنَّه عزَّ وجلّ أكرم من أن يُعذِّب عبده، بل يُعطيه هذه المقامات العالية التي يرجوها كلُّ إنسان، وهي غاية ما يتمناه.

نعم هكذا كانت سيرة الصالحين من عِباد الله، النبي وأئمَّة أهل البيت ، فيصبرون على الصغير والكبير من الأحداث والمفاجآت المؤلمة... وكانوا يُربُّون شيعتهم وأتباعهم على ذلك، ليقتدوا بهم. فعندما تُوفِّي اسماعيل بن المفضل بن عمر، بعث الإمام الصادق ابنه الإمام الكاظم لتقديم العزاء، وكان ذلك بعد وفاة اسماعيل ابن الإمام الصادق فقال له: «أقرىء المفضَّل السلام، وقل له: إنَّا أُصبنا بإسماعيل فصبرنا، فاصبر كما صبرنا، إنَّا إذا أردنا أمراً، وأراد الله أمراً، سلَّمناه لأمر الله».

أجل هكذا كانت توجيهات رسول الله (ص) لزوجته خديجة ، وهكذا كانت توصيات الأئمَّة لأصحابهم وشيعتهم. وهؤلاء هم القدوة والأسوة الحسنة، ونعم القدوة هم، عليهم أفضل الصلوات والتسليمات المباركات.

وهل أعظم من أن يصاب الإنسان بابنه، وفلذة كبده؟... فها هو الرسول أصيب بذلك، وصبر، والإمام الصادق أصيب بذلك، وصبر...

ويقف أمير المؤمنين وقد عزى الأشعث بن قيس عن ابنٍ له، يقف مخاطباً كل أُمٍّ أَو أبٍ فقدا ابنهما... يقول للأشعث: «يا أشعث، إنْ تحزن على ابنك، فقد استحقَّت منك ذلك الرحم، وإن تصبر ففي الله من كلِّ مصيبة خَلَف، يا أشعث، إن صبرت جرى عليك القدَر وأنت مأجور، وإن جزعْت جرى عليك القدر وأنت مأزور، يا أشعث، ابنُك سرّك وهو بلاء وفِتنةٌ، وحزنك هو ثواب ورحمة».

كيف نكتسب فضيلة الصبر:

ويُنصح من أراد أن يمتلك هذه الفضيلة التي حملها من قبله أنبياء الله ، . يُنصح . بعدّة أمور:

أولاً: بتعويد نفسه التصبُّر، أي باصطناع الصبر ومحاولة اكتسابه، لأنَّ الصفات الخلقية الحميدة إنَّما تحصل بالتدريب والترويض... فمن لم يكن مالكاً لصفة الصبر، عليه أن يُعوّد نفسه، ولو تكلُّفاً في بداية الأمر على تقليد الصابرين، كما روي عن علي : «عوِّد نفسك التصبُّر على المكروه، ونعم الخُلُق التصبُّر في الحق».

ثانياً: أن يكون يقينه بالله عظيماً، وأنَّه سبحانه، المطَّلع على كلّ الأمور، والقادر والرؤوف، والرحيم، الودود، اللطيف، الحنّان علينا أكثر من حنان الأُمّ على ابنها. وأن نؤمن، أنَّ ما يجري تحت إرادته وسلطانه، ولا تخفى عليه خافية في السماوات والأرض، وأنَّ كلَّ الأمور راجعة إليه، وأنَّه العادل في ثوابه والكريم في عطائه، والراحم مع عباده. وأنَّه سبحانه القادر على أن يُنزل السكينة، ويُفرغ الصبر، ويربط على القلوب، يقول سبحانه واصفاً حال أُم موسى : {إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين}(56).

ويقول علي أمير المؤمنين : «أصل الصبر حسن اليقين بالله».

ثالثاً: تعويد النفس على اجتياز المصاعب والنكبات، والاقتداء بالأنبياء في صبرهم، وعدم الجزع من شيء قبل وقوعه، ولا بعده، وإمعان النظر في سلوك الصابرين ممَّن نعرف من العلماء والمؤمنين وأهل الصلاح، وكيف أنّهم اجتازوا الأهوال دون تراجُع أو تخاذل، وأن يكون ممَّن ذكرهم الإمام علي في قوله: «مَن توالت عليه نكبات الزمان أكسبَتْه فضيلة الصبر».

وتبقى مفاجأة تستأنس بها النفس، ويطمئن لها القلب، ويَثْلج بها الصدر، وهي، أن يكون الشيعة الصابرون الصادقون، أكثر صبراً من أئمتهم .

نعم، هذا ما نطقت به أكثر من رواية مباركة، ولعلَّها تُحمل على أن الأئمة يصبرون على يقين، بينما شيعتهم يصبرون على غير هذا اليقين، أو أنَّ الأئمة يصبرون على ما علموا وقوعه، فينزل بهم مخففاً وقد استعدُّوا له، أمَّا شيعتهم فينزل بهم البلاء فجأة، دون سابق علم، فينزل شديداً. والرواية المباركة عن الصادق تؤكّد ذلك، فقد جاء عنه قوله: «إنَّا صُبّر، وشيعتنا أصبر منّا». فقال أحد الأصحاب متعجّباً: كيف صار شيعتكم أصبر منكم؟! قال : «لأنَّا نصبر على ما نعلم، وشيعتنا يصبرون على ما لا يعلمون».

فهل نصبر كذلك، ونستحق شرف الانتماء إلى هؤلاء؟! {ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين}(57) {ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفّنا مسلمين}(58).

نصوصٌ مباركة

قال الله عزَّ وجلّ:

{ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشّر الصابرين، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون}(59) .

عن رسول الله (ص) أنَّه قال:

«عجبت للمؤمن وجزعه من السّقم ولو علم ما له في السّقم لأحبّ أن لا يزال سقيماً حتّى يلقى ربّه عزَّ وجلّ».

«الصّبر ثلاثة: صبر على المصيبة، وصبر على الطاعة، وصبر على المعصية...».

«من يتصبّر يصبّره الله، ومن يستعفف يعفّه الله، ومن يستغن يغنه الله، وما أعطي عبد عطاء هو خير وأوسع من الصّبر».

«علامة الصّابر في ثلاث:

أوّلها: أن لا يكسل، والثّانية: أن لا يضجر، والثّالثة: أن لا يشكو من ربّه عزَّ وجلّ، لأنَّه إذا كسل فقد ضيّع الحقّ، وإذا ضجر لم يؤدّ الشّكر، وإذا شكا من ربّه عزَّ وجلّ فقد عصاه».

وعن مولانا أمير المؤمنين أنَّه قال:

«أصل الصّبر حسن اليقين بالله».

آداب وسُنن

آداب الطعام (60)

(القسم الثاني)

. يستحبّ الكون على وضوء عند الطعام، أو على الأقل غسل اليدين والمضمضة والاستنشاق قبل الطعام.

. يستحبّ الأكلُ ممَّا قرُب من الآكل مباشرة (ممَّا يليه) ولا يتناول من أمام الآخرين شيئاً ويُسمِّي بالله عند أوَّل الطعام، ويحمدُ الله عند آخره، كأن يقول: الحمد لله.

. يُستحبّ تصغيرُ اللُّقْمة، والمضغُ جيداً قبل البلع.

. يستحبّ التوقُّفُ عن الطعام قبل تمام الشِّبَع أي وهو يشتهيه.. ولا يخفى ما في ذلك من فوائد.

. من الأدب أن يبدأ صاحبُ الطعام (صاحب الدعوة) قبل غيره، وأن يرفع يده بعد انتهاء الجميع، ولو أكل ببطء.

. تعظيماً للخبز، من الأدب البَدْءُ به إذا حضر على المائدة، ولا يُنتظر غيرُه.

(يُبدأ به ولو قليلاً حتى تحضر الأصناف الأخرى).

. يستحبّ الأكلُ باليد اليمنى، إلاَّ مع الاضطرار أو وجود علَّة.

(على العموم، تُباشَرُ مكارمُ الأمور باليد اليمنى، فالمصافحة والأكل وتناول المصحف.. وغيرُها يكون باليد اليسرى، كالاستنجاء (61) وتناول القاذورات).

وكره أبو عبد الله : أن يأكل الرجل بشماله أو يشرب بها أو يتناول بها (62) .

. يُكره الأكلُ وهو مُتَّكِىء، فإنَّها عادة الجبابرة وكذلك يُكره الأكلُ لوحده، فليأكُلْ حتّى مع خدَّامه.

. يستحبّ الجلوسُ على الأرض حين الأكل.

. لا يجوز الجلوسُ على مائدة يُشرب عليها الخمر.

. يُكره الطعام للجُنُب، إلاَّ أن يتوضَّأ، أو يغسل يديه.

. من الأدب افتتاح الطعام بالملح، وختمه به... فهو دواء لكثير من الداء، وأفضل من الترياق (63) المجرَّب.

ولا بأس من ذرِّ الملح على أوّل لقمة تُؤكل.

. إذا وُضع الطعام وكُنْتَ ضيفاً مدعواً، وحضر وقتُ الصلاة، يُبدأ بالطعام.

وذلك احتراماً لأصحاب الدعوة وما فعلوه وجهدوا في إعداده وتسخينه وترتيبه...

الموضوع العاشر

التوبـة

من رحمة الله على العباد أن فتح لهم باباً سمَّاه التوبة، يَلجِونه طمعاً في الرجوع إلى بارئهم تعالى لنيل رضاه.

والتوبة رجوع عن الذنوب والمعاصي إلى نقاء الروح وطهارة النَّفس وفطرتها.

فالإنسان عندما يقترف ذنباً، يترك هذا الذنب سواداً على قلبه، يزداد مع التكرار والإصرار، حتَّى يخشاه كلُّه لا سمح الله إن لم يُبادر إلى التوبة فوراً، فإنْ بادر فإنَّه يكون قد سلك منزلة مهمة وحاسمة في طريقه إلى الله تعالى متبرّئاً من معاصيه.

قال الله تعالى: {بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون}(64).

ورد في النصّ الشريف عن مولانا أبي عبد الله الصَّادق أنَّهُ سُمع يقول: «إذا تاب العبدُ توبةً نصوحاً، أحبَّهُ اللَّهُ فستر عليه في الدُّنيا والآخرة، فقلتُ: وكيف يسترُ عليه؟ قال: يُنْسي ملكَيْهِ ما كتبا عليه من الذنوب، ثم يوحي إلى جوارحه: اكتُمي عليه ذنوبَه، ويوصي إلى بقاع الأرض: اكتُمي عليه ما كان يعملُ عليك من الذنوب، فيلقى الله حين يلقاه، وليس شيءٌ يشهد عليه بشيءٍ من الذنوب».

التوبة رحمة إلهية:

التوبة هبةٌ إلهية تفضَّل الله بها على العباد، ولولاها لم ينجُ أحدٌ من بني آدم من عذاب ربِّه، لأنَّ الإنسان يرتكب الذنوب نتيجة نفسه الأمَّارة بالسوء، فيرجو ويأمل أن يغفر الله تعالى له ما سلف من المعاصي، فكانت الرحمة الإلهية الَّتي تتجلَّى في فتح باب التوبة للعباد، كل العباد الَّذين لو اتكلوا على أعمالهم لهلكوا.

يقول الله تبارك وتعالى: {يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفّر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنّات تجري من تحتها الأنهار}(65).

ويقول سبحانه:{ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون}(66).

التائب حبيب الله سبحانه:

كُلُّنا يعلم أنَّه لا مفرَّ من لقاء الله سبحانه، وكلُّ رجائنا أن نلقاه بقلوب مطمئنة راضية، نتَّكل عليه في السَّتر والمغفرة، والتوبة هي الطريق إلى ذلك لنكون في رَوْح وريحان وجنَّة نعيم.

ومن رحمة الله تعالى أنْ جعل التائب حبيباً له، زيادة في ترغيبه بها والحرص عليها.

قال جلَّ جلاله: {إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين}(67).

وعن مولانا رسول الله (ص) قوله: «التائب حبيب الله، والتائب من الذنب كَمَنْ لا ذنب له».

وفي نصٍ آخر: «ليس شيءٌ أحبّ إلى الله من مؤمن تائب أو مؤمنة تائبة».

خطر تسويف التوبة:

العجب مِمَّنْ يُؤخِّر التوبة وهو لا يعلم متى ينزل به الموت الَّذي يخطف كلَّ يوم أحداً مِمَّنْ حوله، وعندئذٍ لا ينفع النَّدم.

فمن يتناول الطعام السَّام شُبْهة، يُسارع للتخلُّص منه، لأنَّ الزمن الَّذي ينقضي في مثل هذه الحالات، ينقضي بسرعة، والخسارة عندئذٍ لا تُعوَّض، وعند ظهور مَلَكِ الموت لا ينفع حزنٌ ولا ندم {وحيل بينهم وبين ما يشتهون}(68) مِمَّا كان سبباً في تسويف التوبة.

يقول مولانا الإمام الخميني رحمةُ الله تعالى عليه: «مَنْ قال إنَّك ستُمْهل لتصل إلى سنِّ الشيخوخة؟!

ألا ترى أنَّ قلة عدد المسنِّين دليلٌ على موت الأكثر في سنِّ الشباب، فلا يبقى منهم إلاَّ القليل؟

وقد أثبتت التجارب أنَّ شجرة المعاصي كُلَّما تجذَّرت في النَّفس صعُب اقتلاعها، لذا وجب قلعُ المعصية فوراً وليس الانتظار إلى سنِّ الشيخوخة حيث يشتد الحرص على المال وطول الأمل والتعلُّق بحطام الدُّنيا».

ويطرح الإمام رحمة الله عليه جُمْلةَ تساؤلات ليُشير إلى خطورة التسويف، فيقول:

«يجب تجنُّب ارتكاب المعاصي أصلاً، لأنَّ الإصلاح بعد الإفساد صعب، وهل تعود الصفحة السوداء إلى سابق عهدها ناصعة البياض؟

وهل يعود الإناء إلى سابق عهده بعد انكساره؟

وكم هو الفرق شاسع بين صديق مخلص طوال عمره، وصديق خائن يعتذر ثم يخون ثم يطلب الصفح؟».

التوبة قبل الغرغرة:

ورد في العديد من النُّصوص المباركة أنَّ التوبة تُقبل من العبد ما لم يُغرغر، أي قبل أن تتردّد روحه عند حلقومه، وقبل أن يُعاين ملك الموت الَّذي يسوقه إلى آخرته.

فالساعات تمرُّ دون استئذان وكذلك الأيَّام والأشهر، وهكذا يمرُّ العمر سريعاً، فلا ترى نفسك إلاَّ وقد غرغرت بروحك، وعندها، لا تُقبل التوبة الَّتي كانت خيارك الأوحد كلَّ هذا العمر.

يقول الله عزَّ وجَلَّ: {إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما، وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفّار أولئك اعتدنا لهم عذابا أليماً}(69).

ويقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب : «... فاتقى عبدٌ ربَّه، نصح نفسه، وقدَّم توبته، وغلب شهوته فإن أجله مستور عنه، وأمله خادع له، والشيطان موكل به، يزين له المعصية ليركبها، ويمنّيه التوبة ليسوّفها، إذا

هجمت منيته عليه أغفل ما يكون عنها، فيا لها حسرة على كل ذي غفلة أن يكون عُمره عليه حجّة، وأن تؤديه أيَّامه إلى الشقوة» (70) .

فَلْنكُنْ من أهل التَّقوى والاستغفار، حيث جعل الله سبحانه في الأرض أمانين من عذابه، رُفع الأوَّل وهو رسول الله (ص) ، وبقي الثَّاني وهو الاستغفار لنتمسَّك به.

قال الله سبحانه مخاطباً نبيَّه : {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون} (71) .

يقول مولانا أمير المؤمنين : «وسيق الَّذين اتقوا ربهم إلى الجنَّة زمراً، وقد أُمِنَ العذاب، وانقطع العتاب، وزحزحوا عن النَّار، واطمأنت بهم الدار، ورضوا المثوى والقرار، الَّذين كانت أعمالهم في الدُّنيا زاكية، وأعينهم باكية، وكان ليلهم في دنياهم نهاراً، تخشّعاً واستغفاراً، وكان نهارهم ليلاً، توحّشاً وانقطاعاً، فجعل الله لهم الجنَّة مآباً، والجزاء ثواباً، وكانوا أحقَّ بها وأهلها، في ملك دائم ونعيم قائم» (72) .

وَلْنكُنْ كذاك الحبشي الَّذي سأل رسول الله (ص) توبة على فواحش ارتكبها، فبشَّره بالإيجاب، فتاب الحبشي ثم مضى، وبعد قليل رجع، فقال: يا رسول الله (ص)، الله سبحانه يراني وأنا أعمل الفواحش؟ فقال : «نعم». فصاح الحبشي صيحة خرجت فيها نفسه. فليكن هذا الحبشي مذكِّراً لنا وواعظاً.

نسأل الله سبحانه أن يجعلنا وإيَّاكم مِمَّنْ لا تبطره نعمة، ولا تقصِّر به عن طاعة ربّه غاية، ولا تحلُّ به بعد الموت ندامة ولا كآبة.

نصوصٌ مباركة

يقول الله عزَّ وجلَّ:

{وهو الذي يقبل التوبة عن عباده}(73).

{إن الله يحب التوابين}(74).

وعن رسول الله (ص) :

«التوبة تجبُّ ما قبلها».

«إنَّ كلَّ بني آدم خطَّاء، وخير الخطائين التوابون».

وفي نصٍّ عنه :

«للّه أفرح بتوبة عبده من العقيم الوالد، ومن الضَّال الواجد، ومن الظمآن الوارد».

وعنه أيضاً:

«توبوا إلى الله، فإنِّي تائب إلى الله في كُلِّ يوم مئة مرَّة».

وعن مولانا أمير المؤمنين :

«مَنْ أُعطي التوبة لم يُحرم القبول، ومَنْ أُعطي الاستغفار لم يُحرم المغفرة».

آدابٌ وسُنن

آداب الطعام

(القسم الثالث)

. يُستحبُ حمدُ الله عزَّ وجلَّ، الَّذي يُطْعِم ولا يُطْعَم، والَّذي جعلنا نشتهي الطعام.

(يُدرِكُ هذه النِّعمة جيداً مَنْ فقد شهيَّة الطعام والرَّغبة فيه، كَمَنْ كان مريضاً...).

. من المستحبات المؤكَّدة، إكرام الخبز، وهذا ما درج عليه النَّاس، من تعظيمه وتقبيله إذا سقط منهم.

. يُسْتحب تصغير الأرغفة، فإنَّ مع كل رغيف بركة.

. يُسْتحب أكلُ اللَّحم بين الفترة والأُخرى، بحسب القُدْرة واليُسْر، ويُكْره تركه أربعين يوماً، حتَّى لو اقترض ليأكله.

وكان رسول الله (ص) يُحبُّ منه الذِّراعَ والكتف.

. يُسْتحب لِمَنْ يُقدِّم الماء أن يشرب أخيراً.

. تستحب إجابةُ دعوة المؤمن إلى الطعام... وسُمع أبو عبد الله وهو يقول لرجل كان يأكل: «أما علمتَ أنَّه يُعرفُ حبُّ الرَّجلِ أخاه بكثرة أكلِهِ عنده».

. من الأدب عدم فرض النَّفس على الآخرين لإحراجهم بتقديم الضيافة، وينبغي الخروج من عند المُضيف بعد انتهاء الطعام... إلاَّ إذا طلب البقاء لاستئناسه بضيوفه.

. من الأدب توديع الضَّيْف حتَّى حدود المنزل.

رُوِي عن رسول الله (ص) : «من حقِ الضَّيْف أن تمشيَ معه فتُخْرجه من حريمك إلى الباب».

. أن يجلس الضَّيْف حيث يُريد صاحبُ المنزل.

. أن لا يحتقر الضَّيْف ما قُدِّم له من طعام.

. إذا جاء الضَّيْف فُجْأةً، يُقدَّم له ما تيسَّر من حواضر البيت، وإذا جاء بدعوةٍ مُسْبقة يُكرَّم بالميسور.

. الدعاء لصاحب البيتِ المُضيف أو صاحبِ الطعام... كأن تقول: «أكل طعامك الأبرار، وصلَّت عليك الملائكةُ الأخيار».

. ليس من الأدب سؤال الزائر: هل أكلت، أو هل أنت جوعان...؟!

والأدب أن يُقدَّم له الميسور «فإنَّ الجواد كلَّ الجواد، مَنْ بذل ما عنده».

. للإشارة إلى بركة دعوة النَّاس إلى الطعام، الَّتي أكَّد عليها الإسلام، وتواترت فيها الأحاديث الشريفة، نذكر هذا النصَّ عن أمير المؤمنين دون تعليق: «قوتُ الأجساد الطعام، وقوتُ الأرواح الإطعام».

* * *

أمَّا فيما يتعلَّق بالخضار والفواكه فليُراجع «حلية المتَّقين» للعلاَّمة المجلسي.

الموضوع الحادي عشر

شروط التوبة

حتَّى تُقبل التوبة لاَ بُدَّ أنْ تكون صادقة وجادَّة، قد خرجت من قلب سليم، ونفسٍ زاكية، وهمَّة عالية، ونيَّة خالصة لا تُريد إلاَّ وجه الله تعالى.

رُوي أنَّ علياً عندما سمع رجلاً يقول «أستغفر الله» وضَّح له معنى الاستغفار الحقيقي بكماله، فقال:

«إنَّ الاستغفار درجة العليين، وهو اسم واقع على ستّة معانٍ: أوَّلها: الندم على ما مضى. والثَّاني: العزم على ترك العود إليه أبداً. والثالث: أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم. والرابع: أن تعمد إلى كل فريضة ضيّعْتها فتؤدي حقها، والخامس: أن تعمد إلى اللَّحم الَّذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتَّى تلصق الجلد بالعظم، وينبت بينهما لحم جديد. والسادس: أن تذيق الجسم ألم الطَّاعة، كما أذقته حلاوة المعصية، فعند ذلك تقول: استغفر الله».

نرى من خلال كلام الأمير أنَّ الاستغفار ندمٌ داخلي، وعزمٌ جدِّي، وحقوقٌ تُؤدَّى، وفرائض وصوم وألم وشجاعة وتضحية وثبات... وقبل كُلَّ شيء توفيق من الله تعالى.

وفي نصٍ للإمام زين العابدين يقول: «وأَوْجِبْ لي توبةً توجبُ لي محبَّتك... وانقلني إلى درجة التوبة إليك».

أمورٌ لا بد منها للتائب:

لاَ بُدَّ للتائب من النُّفرة من الذنوب وأن يبغضها ولا يميل إليها، بل أن تكون تجاهها حساسية خاصة، فكل ذنب بالنسبة إليه على حِدة مكروه ومبغوض.

وإذا اقترف شيئاً منها لا سمح الله فإنَّه يندم على ذلك، ويُصيبه حزنٌ وألم، وينوي عدم العودة مطلقاً، لأنَّه إذا لم يعزم على ذلك لا تكون توبته صادقة وجديَّة.

ثُمَّ لا مهرب من إعطاء النَّاس حقوقهم بإيصالها إليهم على تفصيل لا مجال لذكره الآن، ومن تأدية ما فات من فرائض الله سبحانه وبقي في الذمَّة، ومن اتِّباع نظام خاص يُعبِّر عن الإنابة والاستغفار وقيام اللَّيل والتهجدُّ والإكثار من الطَّاعات ولو كان ذلك مُجْهداً أو لم يألَفْه من قبل.

ولا بُدَّ، وهذا من أدب التوبة، من الإقرار بالذنب أمام الله تعالى وستره على النَّاس، كما يُسْتحب تجديد التوبة خاصة عند تذكُّر الذنب وفي بعض الأماكن الخاصة والأزمنة، كما يُسْتحب الغسل والصَّلاة والصوم.

ورد عن مولانا رسول الله (ص) قولُه:

«التائب إذا لم يستبن أثر التوبة، فليس بتائب يرضي الخصماء (أي الَّذين جحد حقوقهم أو اعتدى عليهم)، ويعيد الصلوات (الَّتي في ذمّته)، ويتواضع بين الخلق، ويتقي نفسه عن الشهوات، ويهزل رقبته بصيام النهار...».

برنامج التائب:

لذا ينبغي لصاحب التوبة أن يحسب كُلَّ ما فاته من العمر، حتَّى لو استطاع ساعة فساعة، وكيف كانت صلاته وصومه ونيّته وعلاقاته الاجتماعية، محصياً حقوق النَّاس المالية والعينية، مُرْجعها إليهم، محصياً حقوق الخالق سبحانه، نادماً منيباً إليه، مستبدلاً كل سيّئاته بالحسنات وفعل الخيرات، فيستبدل ما فعل من نظرة الحرام، وشرب الخمر، وسماع الموسيقى والغناء... بِكُلِّ ما يناسب من الإكثار من الصلوات وقراءة القرآن، والاستماع إليه، والمناجاة والسهر في العبادة والطَّاعة، والسعي لخدمة الأيتام والمستضعفين والفقراء.

وليذكر كيف كان في السابق، يسير المسافات الطويلة من أجل سرقة، والعياذ بالله، أو شرب خمر أو حفلة ماجنة، فلِمَ لا يتعب نفسه في طاعةٍ، وقضاء حاجة، وخدمة مستضعف، وإعلاء لكلمة الله سبحانه، ولأمرٍ بالمعروف ونهيٍ عن المنكر؟!

وبشكل عام عليه أن يتحمس ويندفع للطَّاعات كما كان يندفع إلى المعاصي، فكل سيّئة لاَ بُدَّ أن تواجه بحسنة، وكل ظلمة في القلب بحاجة إلى نور يبدِّد الظلام. قال الله تعالى في سورة التوبة: {وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم}(75).

وقال سبحانه: {إن الحسنات يذهبن السيئات}(76).

وعن الرَّسُول الأكرم : «أتبع السيّئة الحسنة تَمْحُها».

وعلى كُلِّ حال يجب الإكثار من الحسنات لمحو السيّئات. فمن كان يؤذي النَّاس، مستتراً بتنظيم أو جماعة أو زعيم، عليه بالإحسان إليهم وخدمتهم. ومن غصب أموال النَّاس، عليه أن يُرجعها إليهم، من الحلال. ومن تناول المسلمين بالغيبة والبهتان، عليه أن يمدحهم ويظهر خصال الخير فيهم.

ولَعَلَّ من رحمة الله سبحانه علينا أن يعظّم الهم والحسرة في نفوسنا نتيجة ذنوبنا لأنَّ ذنوب العبد إذا كثرت ولم تكن له أعمال يكفرها، أدخل الله عليه الغموم، فيكون كفارة لذنوبه، كما ورد في رواية: «من الذنوب ذنوبٌ لا يُكفِّرها إلاَّ الهموم».

وسلام الله على أمير المؤمنين حيث يقول: «فرحم الله امرأً استقبل توبته، واستقال خطيئته، وبادر منيَّته» (77) .

وأنْ يكون لسان حاله:

اللَّهم هذا مقام من رأى كبير عصيانه كبيراً، وجليل مخالفته جليلاً، فأقبل نحوك مؤمِّلاً لك، مستحيياً منك... فَمَثَلَ بين يديك متضرعاً، وَغَمَضَ بصره إلى الأرض متخشّعاً، وَطَأْطَأَ رأسه لعزّتك متذلِّلاً... وعدَّد من ذنوبه ما أنت أحصى له خشوعاً، واستغاث بك من عظيم ما وقع به في علمك، وقبيح ما فضحه في حكمك من ذنوب أدبَرت لذاتها فذهبت، وأقامت تبعاتها فلزِمَت. لا يُنْكر يا إلهي عدلك إن عاقبته، ولا يستعظم عفوك إن عفوْتَ عنه ورحمته...

اللَّهم إنّي أتوب إليك في مقامي هذا من كبائر ذنوبي وصغائرها، وبواطن سيّئاتي وظواهرها، وسوالف زلاّتي وحوادثها، توبة مَنْ لا يُحدِّث نفسه بمعصية... فاجعل توبتي هذه، توبةً لا أحتاج بعدها إلى توبة، توبة موجبة لمحو ما سلف، والسلامة فيما بقي...».

اللَّهم اجعلنا من الَّذين {إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلاّ الله ولم يصرّوا على ما فعلوا وهم يعلمون، أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين}(78).

نصوصٌ مباركة

يقول الله جلَّ جلاله:

{فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم}(79).

عن مولانا أمير المؤمنين :

«مَنْ ندم فقد تاب، ومَنْ تاب فقد أناب».

وعن مولانا الباقر :

«والله ما ينجو من الذنب إلاَّ مَنْ أقرَّ به».

آدابٌ وسُنن

آداب المريض

. يُستحب الصَّبْرُ والشكرُ لله تعالى.

. وتُستحب عدم الشكاية من مرضه إلى غير المؤمن، كأنْ يعتبر أنَّ ما أصابه لم يُصبْ أحداً، أمَّا إذا قال: لم أَنَمْ أو ارتفعت حرارتي أو أصابني صداع... فلا بأس به.

. يُستحب أن لا يُحدِّث عن مرضه في أيَّامه الثلاثة الأُوَل... فإذا استمرّ أَعْلَمَ المؤمنين بذلك، وسمح لهم بعيادته مع الإمكان.

. ومن الأدب تجديد التوبة (وهذا من دون معصية، لأنَّه في تلك الحالة تجب).

. أن يوصي بالخيرات للفقراء من أرحامه وغيرهم.

. أن يلتمس شفاءه بالصدقة، هو أو أقرباؤه.

ورد في النصِ الشريف: «داووا مرضاكم بالصَّدقة».

. أن يُقِرَّ أمام المؤمنين ليشهدوا عليه، بالتوحيد والنُّبوَّة والإمامة والمعاد وسائر العقائد الحقَّة.

. أن يَنْصبَ قيّما (80) أميناً على صغاره، ويجعل عليه ناظرا (81).

. أن يوصي بثُلُثِ ماله مع يُسْره.

. تهيئةُ كفنه.

كما يجب عليه حسنُ الظن بالله تعالى ملكُهُ، في كُلِّ حال.

الموضوع الثاني عشر

حُسْن الظَّن بالآخرين

كثيراً ما نرى اهتزازاً يطرأ على العلاقات بين النَّاس نتيجة حكم عليهم أو تهمة لا تكون مبنيّة على برهان قاطع أو يقين، وإنَّما هي مجموعة أوهام وتخيُّلات تقوى أو تضعف بحسب الظُّروف المحيطة والأحداث الواقعة.

ونهى الإسلام صريحاً عن سوء الظَّن بالأخ المسلم لأنَّ له حرمة وقدسية يجب أن تُصان، وفي حال وقوع شيء منه قد يكون مدخلاً لفتنة الشيطان، لاَ بُدَّ من التماس العُذْر له.

رُوي عن مولانا رسول الله (ص) «أُطلبْ لأخيك عُذْراً، فإن لم تجدْ له عُذْراً، فالتمسْ له عُذْراً».

أخطار سوء الظن على الأفراد:

إنَّ حَمْل الآخرين على الأسوء يُؤدي في أكثر الأحيان إلى أزمة يصعب النجاة من آثارها، فنرى أنَّ العلاقة المتينة الَّتي كانت بين شخصين أو عائلتين سرعان ما تُصاب بالوهن بسبب قصة موهومة أو رواية مظنونة أو خبر عابر من دون التحقُّق من مصدره أو ظرفه... فتسوء العلاقات وتنتشر الإشاعات وتُحاك الافتراءات، وينشغل النَّاس بالقيل والقال وفيما قيل عنهم وكيف يردوُّن على ذلك، فتُهدر الأوقات وتزيد الهموم في اللَّيل والنَّهار حتَّى تؤثر على التوجُّه في العبادة، كلُّ هذا نتيجة سوء الظَّن الَّذي يُؤدي البناءُ عليه إلى كبائر الذنوب، كغيبة المؤمن أو هتكه أو فضح سرِّهِ أو نِسْبته إلى ما لا يجوز.

فهل تُبنى الأحكام عند العقلاء والحكماء على الظُّنون؟!

وهل يجوز نقل ذلك وإخبارُ الآخرين به؟!

أخطار سوء الظَّن على المجتمعات:

ويُمكن أنْ تؤدي هذه الأجواء إلى إرباك للمجتمع المدني لانشغاله بمعارك وهمية والانصراف عن الأهداف الأساسية، فتتوقف المشاريع من بناء مسجد أو إنشاء مستشفى لأنَّ القيِّمين يتمادَوْن فيما بينهم بسوء الظَّن، فتُهدر الأموال وتُبدَّد الأوقات، وفي مراحل متأخِّرة قد يصل الأمر إلى الغضب والشتم والسُّباب بل أكثر من ذلك.

فَكَمْ من أهدافٍ سامية على صعيد الدَّولة والسِّياسة والجهاد تجمَّدت أو تعثَّرت أو تأخَّرت نتيجة سوء الظَّن أو تخيُّل تهمة.

وكم من المنافسات بين المسؤولين حصلت، وكم من الانقسامات وقعت، وكم من الغيبة اقترفت في المجالس الخاصة والعامة، نتيجة نقل غير دقيق، أو من صاحب مصلحة وهوى... وكان سوء الظَّن حاضراً، ليحيك الرِّواية ويحبكها بطريقة جذَّابة تؤدي إلى التصديق بها.

إنَّ هذا يؤدي بنا جميعاً إلى التورط في المتاعب والمتاهات التي نحتار كيف دخلناها، ولا ندري كيف يُمكن الخروج منها، مع ما يؤثر ذلك على روحيتنا وتديّننا وسعينا الدؤوب، لتهذيب النَّفس وإصلاحها، بينما لو التفتنا لحقيقة الأمر واستبدلنا سوءِ الظَّن، بحسن الظَّن، والتهمة العابرة، بمحمل حسن، أو موقف لائق، لوفّرنا الكثير على أنفسنا وأعصابنا وأوقاتنا... وقبل وأهم من كُلِّ شيء، على آخرتنا وحسابنا بين يدي مولانا الكريم.

فقد رُوِي عن علي قوله: «حسن الظَّن راحة القلب وسلامة الدِّين». كما رُوِي عنه في هذا المجال وهذا السياق: «حسن الظَّن يخفّف الهمَّ، وينجي من تقلُّد الإثم».

نماذج عن سوء الظَّن:

فما من شك، يا أخي وعزيزي، أنَّ حسن الظَّن هو أفضل لآخرتنا، ولرضا الله سبحانه علينا. فهذا أمير المؤمنين يقول: «أفضل الورعِ حسنُ الظنّ».

وإنَّ الالتزام بالتقوى لا يكون إلاَّ بالاحتياط في الامتناع عن رجم الآخرين واتّهامهم، بما لم يعملوا، أو لم يعلموا به، فنحن نلاحظ من أنفسنا في بعض الأحيان أنَّ أخاً عزيزاً مرَّ من أمامنا ولم يسلم علينا!!! فهل من حقّنا أنْ نتَّهمه بالتكبُّر مثلاً؟ أم يحرُمُ علينا ذلك ويجب أن نحمله على أيِّ محملٍ آخر ممكن أو معقول، كأن يكون ساهياً أو مهموماً أو منصرفاً في تفكيره إلى شيء آخر، ولم يلتفت إلينا؟!

ولعَلَّنا نسمع أحياناً صوت غناءٍ ينبعث من جهاز المذياع أي الراديو، من عند جيراننا... فلا يجوز أن نحكم عليهم بالفسق أو المعصية... بل رُبَّما كان المستمع يستمع إلى نشرة أخبارية ثُمَّ سهت عينه ونام، وبقي الجهاز مفتوحاً على كافة البرامج الأخرى، أو رُبَّما أنَّ الكهرباء قد قُطعت، ولم يلتفت الأخ المؤمن إلى إقفال مذياعه، وخرج من المنزل، ثمَّ جاء التيار الكهربائي فجأة، وانطلق صوت الغِناء... بل رُبَّما كان طفلٌ في المنزل يلعب بالمذياع، وقد أدار الإبرة إلى محطّة تذيع غناءً أو موسيقى... أو رُبَّما أيضاً كانت هناك اعتبارات أُخرى عديدة وشتّى، قد لا نعرفها، فلا يجوز لنا أن نتَّهم أصحاب المنزل بأنَّهم يستمعون إلى الغِناء المحرَّم.

ورُبَّما يغيب عنك أخوك في الله، أو يُخلِف موعداً مضروباً بينك وبينه، أو يضطر للتغيّب لسبب ما... فلا يجوز أن تتّهمه بسوء، فلعَلَّه مريض أو مضطر أو معذورٌ، أو يحتاج إلى مساعدتك.

وقد ترى أخاك في مكان معيّن هو موضع ريبة وتهمة، فعليك أن تحمله على محمل حسنٍ، كأن تقول: إنَّهُ اضطّر إلى ذلك، أو أُجبر عليه، أو كان ضائعاً، أو هو في ورطة، أو رُبَّما كان قد انحرف، لا سمح الله، فهو بحاجة إلى موعظتك وإرشادك لا إلى لسانك المتَّهم.

وفي بعض الأحيان نرى بعض الأشياء بأعيننا، أو نسمعها بآذاننا، وعلى الرغم من ذلك لا يجوز لنا البناء عليها، والحكم على ظاهرها، فأنت مثلاً، عندما ترى أخاً لك في الله يقترب من كوب من الخمر، فيُمسكه بيده ويشرب، فلا يجوز لك أيضاً هنا أن تتّهمه بالمعصية، فلعَلَّه اعتقد أنَّه ماءٌ، وأراد أن يشرب منه. حتَّى ولو شممت من أخيك رائحة خمرٍ أيضاً، فلا يجوز لك أن تتّهمه، فلعَلَّ الخمرَ وقع عليه من طبقة عالية، أو انسكب على

وجهه من دون قصد مثلاً، أو رماه به أحد الأشخاص، أو أنَّ سِكِّيراً قذفه بشيء منه، فليس لك أن تحكم عليه بالمعصية.

وهكذا فيما يتعلق بالأكل والشرب واللباس والأمكنة والكلمات والألفاظ... يجب أن تحمل على المحمل الحسن، فقد روي عن علي ، في مصادر متعدِّدة ومعتبرة، أنَّه قال: «لا تظننّ بكلمة خرجت من أحد سوءاً، وأنت تجد لها في الخير محتملاً».

وإذا اتبعنا هذه الطريق، وخطونا على هذا السبيل، نصون أنفسنا ومجتمعنا من كثير من المشاكل المجانية، الَّتي لا تجرُّ لنا إلاَّ المتاعب والشحناء والبغضاء، ونصونُ أيضاً سمعة المؤمنين وكرامَتهم، ونحفظ نفوسنا من التلويث، ونؤدي حقَّ إخواننا المؤمنين، ولا نخسرهم.

ليس هذا فحسب، بل لقد روي عن علي في شأن توثيق المؤمن، وعدم سماع كلام النَّاس في اتّهامه، أنَّه قال: «من عرفَ من أخيه، وثيقة دين، وسَدَاد طريق، فلا يسمعنَّ فيه أقاويل النَّاس، أما إنَّه قد يرمي الرامي، ويخطىء السهام».

نصوصٌ مباركة

يقول الله جلَّ جلاله:

{يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم}(82).

وعن رسول الله (ص) :

«إياكم والظَّن، فإنَّ الظنَّ أكذب الكذب».

وعن أمير المؤمنين :

«سوء الظن يُفسد الأمور ويبعث على الشرور».

«أفضل الورع، حسن الظن».

مَنْ ساءت ظنونه اعتقد الخيانة بِمَنْ لا يخون».

آدابٌ وسُنن

آداب عيادة المريض

. عيادة المريض من المستحبات المؤكَّدة، لأنَّ الله عزَّ وجلَّ حاضرٌ عند المريض المؤمن، فعيادته عيادةٌ لله تعالى.

. ومن آدابها الجلوسُ عنده مُخْتصراً... إلاّ أن يطلب المريض ذلك، كأنْ يكونَ مُسْتئنساً به أو مُشْتاقاً له.

. ومن آداب زائر المريض، وضعُ يده على ذراع المريض، وأن يدعو له بالشِّفاء.

. أن يحمل الزائر هديَّة له، من فاكهة أو ما يُدْخل عليه السرور والبهجة.

. أن يقرأ عليه فاتحة الكتاب، مرَّةً أو مرَّات، وفي حديث مولانا الصَّادق : «لو قُرِأت الحمدُ على ميّتٍ سبعين مرَّةً ثم رُدَّت فيه الروح ما كان عجباً».

. ومن الأدب أن لا يأكلَ عنده ما يضرُّه أو يشتهيه.

. ومن السُّنَّة أن لا يفعل عنده ولا يتكلَّم بما يُغيظُهُ أو يَسُوْءُه.

. أن يطلب منه الدعاء، فالمريض مِمَّن يُسْتجابُ دعاؤه... فهم(83) ثلاثة: الحاج (84) والغازي (85) والمريض.

الموضوع الثالث عشر

الإخلاص لله تعالى

اشترط الإسلام الإخلاص في سائر أعمال المؤمن ليُؤجر على عمله وليفوز بالثواب من الله رب العالمين.

بل إنَّ أوَّل ما يتعلَّمه المهتدي إلى الإسلام أنَّ نيَّة الوضوءِ والغُسْل والصلاة والصوم والحج، يجب أن تكون خالصةً وقربة إلى الله عزَّ وجلَّ، وإذا لم تكن كذلك اعتُبر العمل باطلاً فاسداً، تجب إعادته، ويُؤثم صاحبه لتفويته وقته المحدود.

قال الله تعالى ملكُهُ العزيز: {وما أمروا إلاّ ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة}(86).

وقال سبحانه: {وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين}(87).

ورُوي عن مولانا رسول الله (ص) قولُه:

«قال الله تعالى: الإخلاص سِرٌّ من أسراري استودعتُهُ قلبَ مَنْ أحببتُ من عبادي».

الإخلاصُ علامةُ أهل الإيمان:

يُعبِّر الإخلاص عن شدَّة الإيمان وقُوَّة اليقين، وكُلَّما كان حاضراً في العمل كُلَّما كان توفيق الله حاضراً.

والمؤمن يتميّز عن غيره في جملة ما يتميَّز، بابتغاء وجه الله تعالى لنيل رضاه، بينما غيره له أهداف شتَّى.

يقول الله تعالى عزُّه رداً على شبهات اليهود والنصارى:(88)

{ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون}(89).

وأمر سبحانه نبيَّه بالعبادة المُخْلِصة كعلامةٍ له ولأُمَّته من بعده، قال:

{إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين، ألا لله الدين الخالص}(90).

وهكذا، فإنَّ أعمال أهلِ الإيمان مرتبطة بنيَّتهم وإخلاصهم وحبِّهم لمعبودهم الخالق جلَّ جلاله، لا يُشْركون في حبِّه أحداً، في مقابل عبادة أهل الشرْك والعقائد الفاسدة الَّذين يتوجَّهون ويستعينون بمخلوقات يجعلونها لله نظيراً، والعياذ بالله.

فَمَنْ عظُم عنده وجهُ الله اكتفى به عمَّا في السَّموات والأرض، رُوي عن النَّبي الخاتم : «اعملْ لوجهٍ واحد يكفيك الوجوه كلَّها».

وحتَّى المؤمنين، تتفاوت درجاتهم بحسب إخلاصهم، وفي النصِّ المبارك الوارد في تنبيه الخواطر: «بالإخلاص تتفاضل مراتب المؤمنين».

وهكذا درجات جنَّات النَّعيم، جعلنا الله تعالى من أهلها، يقول مولانا عليُّ بن أبي طالب : «كُلَّما أخلصتَ عملاً، بلغتَ من الآخرة أملاً».

الإخلاص في العمل أشدُّ منه:

لعلَّ البعض يظنُّ أنَّ الإخلاص مسألةٌ بسيطة يُمكنُ تحصيلها بأدنى جهد، لكنَّ الَّذي يعرف طبيعة النَّفس البشرية وهواها ورغباتها وشهواتها يلمس عظيم المعاناة الَّتي تُصاحب العمل ليكون صافياً خالصاً قربة إلى الله تعالى.

والمؤمن بالغيب هو الأقدر والأجدر لتحصيل هذه الدرجة المعنويَّة العالية.

رُوي عن أمير المؤمنين قولُه: «تصفية العمل، خيرٌ من العمل».

وعن الإمام الباقر قوله: «الإبقاء على العمل أشدُّ من العمل».

قال الراوي: وما الإبقاء على العمل؟

قال : «يصل الرَّجل بصلةٍ، ويُنْفِق نفقةً لله وحده لا شريك له، فتُكتب له سِرّاً، ثم يذكرها فتُمْحى فتكتب له علانية، ثمَّ يذكرها فتُمْحى وتُكتب له رياء».

لذلك أراد الإسلام أن يُعلِّم أتباعه الإخلاص الحقيقي فدعاهم ودرَّبهم على عبادة السرِّ، في سائر المجالات، وجعلها أجراً وثواباً أفضل من عبادة العلن.

واشتُهر عن مولانا رسول الله (ص) قوله: «أعظم العبادة أجراً، أخفاها».

وفي بحار الأنوار أيضاً، عن الإمام الصَّادق قال: «إذا كان يوم القيامة، نظر رضوان خازن الجنَّة إلى قومٍ لم يمرُّوا به، فيقول: مَنْ أنتم؟ ومن أين دخلتم؟! قال: يقولون: إيَّاك عنَّا، فإنَّا قومٌ عبدنا الله سِرّاً، فأدخلنا الله سِرّاً».

آثار الإخلاص الغَيْبيَّة:

لا شك أنَّ للإخلاص كما لسائر الأعمال الخيّرة والعبادات الجليلة الَّتي أمرنا بها آثاراً قد نرى أو نشعر ببعضها، لكنْ لا شك ما خفي علينا أعظم وأجلّ.

وقد ورد في حقِّ الإخلاص ما يُبْهر العقول من أمور لا نملِكُ لها تفسيراً إلاَّ أنَّها رحمةٌ من الله العزيز الجبَّار، ولا يُمكن تفسير مثل هذه البركات بموازين العقل والمنطق السائدين عند أهل الدُّنْيا.

فبعد المراقبة الشديدة، يثبت المرء على الإخلاص ليوم أو يومين... أمَّا مَنْ وُفِّق لأكثر من ذلك فسوف يرزقه الله رزقاً لا يوزن بذهب ولا بفضة.

ورد عن سَيِّدنا المصطفى : «ما أخلص عبدٌ لله عزَّ وجَلَّ أربعين صباحاً إلاَّ جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه».

وفي تسديد الله عزَّ وجَلَّ للمؤمن المخلص، رُوي عنه :

«قال الله عزَّ وجَلَّ: لا أطَّلع على قلبِ عبدٍ، فأعلم منه حبَّ الإخلاص لطَّاعتي لوجهي، وابتغاء مرضاتي إلاَّ تولَّيْتُ تقويمه وسياسته».

قصَّةٌ للعبرة والاقتداء:

في سياق قصَّة موسى وشعيب، على نبيِّنا وآله وعليهما السلام (91)، ورد:

... فلَّما دخل على شعيب إذا هو بالعشاء مهيَّأ، فقال له شعيب: اجلسْ يا شاب فتعشَّ، فقال له موسى: أعوذ بالله، قال شُعيب: ولِمَ ذاك، أَلَسْتَ جائع؟!

قال: بلى، ولكنْ أخاف أن يكون هذا عوضاً لِمَا سقيتُ لهما، وإنَّا أهلُ بيتٍ لا نبيع شيئاً من عمل الآخرة بملء الأرض ذهباً، فقال له شُعيب: لا والله يا شاب، ولكنَّها عادتي وعادة آبائي نقري الضَّيْف ونُطعم الطعام. قال: فجلس موسى يأكل.

نصوصٌ مباركة

قال الله تعالى:

{إلاّ الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيما} (سورة النساء:146).

{قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين} (سورة الزمر: 11).

وفي حقِ سَيّدنا يوسف، على نبيّنا وآله وعليه السلام، قال تعالى:

{كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين} (سورة يوسف: 24).

وعن رسول الله (ص) :

«ليست الصلاةُ قيامك وقعودك، إنَّما الصلاة إخلاصك وأنْ تريد بها وجهَ الله».

وعن مولانا أمير المؤمنين قوله:

«الإخلاص غاية الدِّين»،

«الإخلاص أعلى الإيمان».

وعن مولانا الحسن العسكري :

«لو جُعلتْ الدُّنيا كلُّها لقمةً واحدةً، ولقَّمْتُها مَنْ يعبد الله خالصاً، لرأيتُ أنِّي مقصِّرٌ في حقِّه».

آدابٌ وسُنن

آداب الدفن

. المستحب أن يكون عمقُ القَّبْرِ بمقدار قامة إنسان تقريباً (متر ونصف أو يزيد قليلاً) كما هو حاصلٌ فعلاً.

. أن يُجعلَ لَحْدٌ في القبر، بقدر بدن الميِّت في طوله وعرضه، وبمقدار جلوس الميّت فيه من حيث العمق.

. لا يُهال عليه التراب مباشرة، بل يُسْقف بحجارة أو ألواح باطونيَّة مثلاً... (بلاطات)، ثمَّ التراب.

. أن يُدْفن في المقبرة القريبة... إلاَّ إذا كانت البعيدة مقبرة للصالحين والأولياء أو كان زائروها كُثُراً.

. أن لا يُنقلَ الميّتُ مباشرةً إلى القبر، بل يوضع قَبْلَهُ بأمتار، ثمَّ يُنْقل قليلاً ويوضع، ثمَّ يُنْقل ويوضع، ثمَّ يُنقل إلى حافَّة القبر ليأخُذَ أُهْبَتَهُ...

فالمكروه هو نقلُهُ مباشرةِ إلى القبر، فإنَّ له أهوالاً عظيمة.

. إذا كان الميّتُ امرأةً، يُغطَّى القبرُ بثوب عند إدخالها، ولا يدخل معها إلاَّ أرحامها (مَنْ يجوز أن يراها في حياتها).

وهذه العادة الجميلة مُتَّبعةٌ في بعض الأوساط، ومن المنتظر أن تُعمَّم.

. يُسْتحب تلقينُهُ بعد وضعه في قبره وبعد تمام الدفن ورجوع الحاضرين.

. أن يُكتب اسمُ الميِّت على القبر، ولو على رُخامة، ويوضع منصوباً عند رأسه.

الموضوع الرابع عشر

حبُّ الدُّنيا

خُلق الإنسان في هذه الدُّنْيا ليزرع آخرته، فالبقاء للآخرة والفناء للدُّنْيا.

لكنَّ البَّشر يتشبَّثون بحب الدُّنيا ومتاعها، ويتمنَّون الخلود فيها، ولا خلود لأحد، فما هي إلاَّ هُنيهة قصيرة وينتقل المرءِ إلى عالمٍ آخر غير العالم الَّذي يعيش فيه في دنيا إنَّما سُمّيت كذلك لأنَّها أدنى من كُلِّ شيء، مقابل الآخرةِ الَّتي فيها الجزاء والثواب وتجيء متأخِّرة عن الدُّنيا لا توصف سنينها، ولا تُحصى أيَّامها، ولا يموت سكانها (92) .

قال الله جلَّ جلالُه: {إعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلاّ متاع الغرور}(93).

وعن علي أمير المؤمنين : «بالدُّنيا تحرز الآخرة».

ورُوِي عن الإمام الباقر فيما أوحى الله تعالى لسيّدنا موسى :

«... هي دار الظالمين إلاَّ العامل فيها بالخير، فإنَّها له نعمت الدار».

وفي عدَّة نصوصٍ عن أمير المؤمنين يقول فيها:

«... فَلْيَتزوَّد العبدُ من دنياه لآخرته، ومن حياته لموته، ومن شبابه لهرمه، فإنَّ الدُّنيا خُلقت لكم، وأنتم خُلقتم للآخرة».

«الدُّنيا خُلقت لغيرها، ولم تُخلقْ لنفسها».

«أخرِجوا من الدُّنيا قلوبَكم، قبل أن تخرج منها أبدانكم».

بين البصير والأعمى:

فَمَنْ أيقن بما تقدَّم، وعلم أنَّ السَّفر قريب، وعقِل بوجوب التزوُّد والاستعداد لهذا السَّفر، كان حكيماً بصيراً بعواقب الأمور وبحقيقة الدُّنيا، فلا يغترُّ بها كما المغترُّون، ولا يغفل عن خطورتها كما الغافلون.

أمَّا الَّذي غَفِل عن هذه الحقائق، واعتقد بأنَّ الدُّنْيا هي الغاية والمنتهى فهو الخاسر الَّذي تُجبر خسارته بملء الأرض ذهباً.

يقول أمير المؤمنين :

«وإنَّما الدُّنيا منتَهى بصرِ الأعمى، لا يُبصر مِمَّا وراءها شيئاً، والبصيرُ ينفُذُها بصرُه، ويعلم أنَّ الدار وراءها، فالبصير منها شاخص، والأعمى إليها شاخص، والبصير منها مُتزوِّد، والأعمى لها مُتزوِّد».

حبُّ الدُّنْيا رأسُ كلِّ خطيئة:

حبُّ الدُّنْيا والتعلُّق بها وبمفاخرها ومناصبها وأموالها ومتاعها هو سبب كلِّ المعاصي والذنوب وبالتالي خسران الآخرة وهو الخسران العظيم.

فالمتأمِّل البصير في خلافات النَّاس ونزاعاتهم يجد أنَّ حبَّ الدُّنْيا رأسُ الفِتن وأصلُ المِحن.

يقول الإمام الخميني رضوان الله عليه:

«إنَّ جميع المفاسد الأخلاقية والسلوكية، هي من ثمار هذه الشجرة الخبيثة... فما من فساد يقع في هذه الدُّنْيا إلاَّ نتيجة حبِّها، فالقتل والنَّهب والظُّلم والاعتداء كلُّها نتائج لهذه الخطيئة، والفجور والفحشاء والسَّلْب وسائر الموبِقات وليدة جرثومة الفساد هذه...».

فَلَو التفت الواحدُ منَّا إلى حتميَّة الفراق والمغادرة لهذا المتاع مهما عظُم، وإلى الَّذين سبقوا من القياصرة والجبابرة، لزهد بدنيا دنيَّة لا تخلو من همومٍ وأخطار، وتغْدُر بصاحبها ولو أخلص لها وأحبَّها.

يقول الإمام زينُ العابدين :

«ما من عملٍ بعد معرفة الله جلَّ وعزَّ، ومعرفة رسوله، أفضل من بغض الدُّنْيا... فتشعَّب من ذلك حبُّ النِّساء، وحبُّ الدُّنْيا، وحبُّ الرِّئاسة، وحبُّ الرَّاحة، وحبُّ الكلام، وحبُّ العلو والثروة، فصِرْنَ سبع خِصال، فاجتمعنَ كُلُّهنَّ في حبِّ الدُّنْيا، فقال الأنبياء والعلماء بعد معرفة ذلك: حبُّ الدُّنْيا رأسُ كل خطيئة».

وفي حديث المعراج الشريف: «... لو صلَّى العبدُ صلاة أهلِ السَّماء والأرض، ويصوم صيام أهل السَّماء والأرض، ويطوي من الطعام مثل الملائكة، ولبس لباس العاري، ثمَّ أرى في قلبه من حبِّ الدُّنيا ذرَّة أو سِعتِها، أو رئاستها، أو حليَّها، أو زينتها، لا يجاورني في داري، ولأنْزعنَّ من قلبه محبَّتي».

نتائج حبُّ الدُّنيا:

لا شك أنَّ آثار حبِّ الدُّنْيا خطير على أهل الإيمان، وثمرةُ ذلك الذُّلُّ والهمُّ والارتهان، وإنْ ظهر بعض أهل الدُّنْيا بمظاهر الراحة والرفاهية، إلاَّ أنَّهم في حقيقة الأمر هم أسرى المال والجاه والطعام والسُّمْعة من أي جهة أتت.

رُوي عن سيِّدنا رسول الله (ص) : «إنَّهُ ما سكن حبُّ الدُّنْيا قلباً إلاَّ التاط فيها بثلاث: شُغْلٌ لا ينفد عناؤه، وفقرٌ لا يُدرَكُ غناه، وأملٌ لا ينال منتهاه».

وعن أمير المؤمنين : «فارفض الدُّنْيا فإنَّ حبَّ الدُّنيا يُعْمي ويُصم ويبكم ويُذلُّ الرِّقاب».

وعن الإمام الصَّادق : «... فَمَنْ أحبَّها أورثَتْه الكِبْر، وَمَنْ استحسنها أورثته الحرص، ومَنْ طلبها أَوْرَدَتْه إلى الطَّمع، ومَنْ مدحها أكبَتْه الرِّياء، ومَنْ أرادها مكَّنته من العجب، ومَنْ اطمأنَّ إليها ركِبْته الغفلة...».

وفي ثمرات حبِّ الدُّنيا يقول الإمام الخميني رضوان الله عليه:

«حبُّ الدُّنيا يمنع من حضور القلب الَّذي فُطر على التعلُّق بما يُحب، فالقلب يُحلِّقُ فوراً إلى محبوبه، وعندما ينشغل المرءُ بالدُّنيا ينصرف عن حبِّ الله تعالى، لذا ورد عن أمير المؤمنين : وما رأيتُ شيئاً إلاَّ ورأيتُ الله فيه ومعه».

ويُتابع رضي الله عنه قائلاً: «فأولئك الَّذين امتلأت قلوبهم بحبِّ المال والرِّئاسة والسُّمْعة يَروْن مطلوبهم حتَّى في النوم، ويُمْضون وقت يقظتهم منشغلين به».

وبعد كلامٍ طويل يقول: «لأنَّ قلوبنا معجونةٌ بحبِّ الدُّنْيا، لا هدف لها ولا غاية سوى إعمار الدُّنْيا، فلا بُدَّ أن يحول هذا الحب دون تفرُّغ القلب وحضوره... فمن كان محباً للمال فعليه أن يقتلع جذور هذا الحب من خلال الإكثار من الصدقات الواجبة والمستحبة، فإحدى فوائد الصدقات، أنَّها تُقلِّل الارتباط بالدُّنيا وحبها.

يقول الله تعالى: {لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون} (94) .

ويخلُصُ إلى القول، رضوان الله عليه: «إذاً، جليٌ أنَّ حبَّ الدُّنيا وحبَّ الله تعالى لا يجتمعان... والكلام في هذا أكثر من أن يُحصر في بضع صفحات».

نصوصٌ مباركة

يقول عليّ في وصيته لابنه الحسن ، وهي من أبرز الرَّسائل والوصايا في نهج البلاغة المبارك، يقول فيها واعظاً له من غدر الدُّنيا ومَكْرِها:

«أحيِ قلبك بالموعظة... وذلِّله بذكر الموت.. وبصِّره فجائعَ الدُّنيا، وحذِّره صولة الدَّهر، وفُحشَ تقلُّبِ اللَّيالي والأيَّام، واعرض عليه أخبار الماضين، وذكِّره بما أصاب مَنْ كان قبلَكَ من الأولين، وسرْ في ديارهم وآثارهم، فانظُرْ فيما فعلوا، وعمَّا انتقلوا، وأين حلُّوا ونزلوا، فإنَّكَ تجدهم قد انتقلوا عن الأحبة، وحلُّوا ديار الغربة، وكأنَّكَ عن قليل قد صرت كأحدهم، فأصلحْ مثواك، ولا تبعْ آخرتك بدنياك...».

ويقول في موعظةٍ له:

«... ثمَّ إنَّ الدُّنْيا دارُ فناءٍ وعناءٍ، وغِيَرٍ وعِبَر... فمن الفناء أنَّ الدَّهر... يرمي الحيّ بالموت، والصحيح بالسّقَم، والناجي بالعطب، آكلٌ لا يشبع، وشاربٌ لا ينقع، ومن العناء أنَّ المرءِ يجمع ما لا يأكل، ويبني ما لا يسكُنُ، ثمَّ يخرُج إلى الله تعالى، لا مالاً حمل، ولا بناءً نقل... ومن عِبرها أنَّ المرءَ يُشرفُ على أمله، فيقتطعُهُ حضورُ أجلِهِ، فلا أملٌ يُدرك، ولا مؤمَّلٌ يُترك... فسبحان الله، ما أقرب الحيَّ من الميِّت، للحقَاه به، وأبعدَ الميّت من الحيَّ لانقطاعه عنه...».

وفي نصّ آخر يقول :

«واتَّعظوا فيها بالَّذين قالوا: مَنْ أشدُّ مِنَّا قُوَّةً. حُمِلوا إلى قبورِهم فلا يُدْعَون رُكباناً، وأُنزِلوا الأجداث فلا يُدعَوْنَ ضِيفاناً، وجُعِلَ لهم مِنَ الصَّفيحِ أجْنَان، ومِنَ الترابِ أكفان، ومن الرُّفات جيران، فهم جيرةٌ لا يُجيبون داعياً، ولا يمنعون ضيماً، ولا يُبالون مَنْدَبَة... جميعٌ وهم آحاد. وجيرةٌ وهم أبعاد، مُتدانون لا يتزاورون، وقريبون لا يتقاربون... استَبْدَلُوا بِظَهْرِ الأرْضِ بطناً، وبالسِّعَةِ ضِيقاً، وبالأهل غُربة، وبالنُّور ظلمة، فجاؤوها كما فارَقُوها، حُفاةً عُراة...».

آدابٌ وسُنن

آداب التعزية

. من المستحبات المؤكَّدة تعزيةُ المصاب وتسليتُهُ قبل الدَّفن وبعده (وهذا المستحب غير تشييع الجنازة).

. تتحقَّق التعزيةُ وأجرُها إن شاء الله تعالى، برؤية المصاب للمعزِّي.

. يجوز الجلوس للتعزية.

. وقتُ التعزية لا حدَّ له، وقال بعضُهم بيومين أو ثلاثة... ولو أدَّت إلى تجديد الحزن المَنْسي، كان تركها أولى.

. ما هو دارجٌ في مجتمعنا من الاحتفال بذكرى الأسبوع والأربعين والذكرى السَّنويَّة، لا أساس له في الشَّرْع المقدَّس، وبحاجة إلى موقف حاسم من الفقهاء الأعاظم ومراجع التقليد المحترمين، فكلمة الفَّصْل لهم.

خاصة أنَّ هذه العادات أصبح لها طقوسٌ ومتطلَّباتٌ وجهودٌ مُحْرجة أو مُرْهقة.

. إذا كان الجلوس بقصد قراءة القرآن والدعاء وذكر الله تعالى وإحياءِ أمرِ محمَّد وأهل بيته الكِرَام ، فلا يبعد الرجحان.

. يستحب إرسالُ الطعام إلى أهل الميِّت، ثلاثة أيَّام... وهذا من المواساة والعون... (وإن أصبحت العادة في هذه الأيَّام، للأسف، عكسيَّة... فأهلُ الميِّت يُطعِمون الموجودين).

. أكلُ الطعَام عند أهل الميِّت مكروه، وفي خبر أنَّهُ من عمل الجاهليَّة.

(أصبحت هذه العادات اليوم، تُشكِّل عِبْئاً وحرجاً على أهل الميِّت... وعند بعضهم فرصةً للمباهاة والمباراة).

وهذا غير الاستحباب بالوصيَّة بمالٍ لطعام مَأْتَمِهِ، لأنَّ هذا من وصيَّته، لا من فعل أهله، والفرق واضح.

. يُستحبُّ البكاءُ على المؤمن، وقد فعل ذلك أنبياء وأولياء، والبكاءُ ردَّةُ فعلٍ طبيعيَّة للإنسان السَّوي.

. من الأدب أن يتذكَّر صاحبُ المصيبة موتَ خاتم الأنبياء ، فإنَّه أعظم المصائب.

. يُسْتحب الاحتسابُ عند الله جلَّ ذكرُهُ، والتأسِّي بالأنبياء وأهلِ الصلاح، خاصَّةً لِمَنْ مات وَلَدُهُ.

. يُسْتحب قول «إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون» كُلَّما تذكَّر مُصيبته.

. تُستحب زيارةُ قُبور المؤمنين، والسَّلامُ عليهم، وقراءةُ القرآن، وطلبُ الرَّحمة والمغفرة لهم... بشرط عدم الجزع.

. يُسْتحب طلبُ الحاجة عند قبر الوالدين (رُبَّما لكرامتهما وفضلهما).

. يُستحبُّ دفنُ الأقارب متقاربين (وهذا ما يرغبه بعضُ النَّاس أو يفعلوه... فلا مانع منه).

. من الآداب صلاة الهدية ليلة الدَّفن، وهي الَّتي تُسمَّى في عُرْف النَّاس، بصلاة الوحشة. (أوصى الميِّت أم لم يُوصِ).

الموضوع الخامس عشر

الزُّهد

من المفاهيم المُلْتَبَسة عند أكثر النَّاس «الزُّهد»، حيث يظنُّ أكثرهم أنَّ الزُّهد ترك الدُّنيا والظُّهور أمام الآخرين بمظهر البؤس والشقاء وتعمُّد إهمال الجسد واللباس!

وهذا خطأ كبير، لأنَّهُ بذلك تختلط الأمور والعناوين، ولاَ يُعرف الزُّهد الحقيقي من غيره.

ومن المفارقات الغريبة أنَّ بعض مَنْ التبس عليهم الأمر لا يعرفون أنَّ الإسلام دعا إلى الزُّهد، وأدنى نظرةٍ إلى الرِّوايات الشريفة وأمَّهات الكِتاب ونهج البلاغة تُبيِّن ذلك بوضوح، لكنَّها دعوة إلى الزُّهد الحقيقي، وهو:

الانصراف عن الدُّنْيا وعدم إرادتها إلاَّ بقدر ضرورة البدن لذلك، وبهذا المعنى لا مانع أن يكون للزاهد مالٌ أو خدمٌ أو عقارٌ... ولو كان كثيراً.

يقول الإمام الصَّادق : «ليس الزُّهدُ في الدُّنْيا بإضاعة المال ولا تحريم الحلال، بل الزُّهد في الدُّنيا أنْ لا تكون بما في يدك أوثق منك بما عند الله».

لكنَّ مَنْ كثُر مالُهُ كان أكثر عُرْضة للفتنة من غيره، لأنَّ النَّاس بطبعهم ضعيفو النُّفوس فينجرُّون بسرعة نحو الانحراف، فإذا كانت لديهم القُوَّة والسُّلْطة تكون فتنتهم أكبر.

سُئل الإمام الصَّادق عن الزُّهد، فقال:

«الَّذِي يترك حلالها مخافة حسابه، ويترك حرامها مخافة عقابه».

الزُّهد علامة أهل الخير:

من أهم صفات الأنبياء والأولياء وأتباعهم عدم تعلُّقهم بشيء من الدُّنيا لنفسه أو طمعاً في خلوده، فهم مُدْركون لحقيقة الدُّنيا ومتاعها وما فيها، وعاشقون لخالقهم تعالى، راغبون في ثوابه، مُقبلون على آخرته الَّتِي هي خيرٌ وأبقى.

رُوي عن سيِّدنا رسول الله (ص) : «ما اتَّخذ الله نبيّاً إلاَّ زاهداً».

ولا يُمكن أن نتصَّور خلاف ذلك.

وبما أنَّهم وأتباعهم راغبون في الآخرة وفي كُلِّ خيرٍ يوصل إليها، اختاروا الزُّهد طريقة في هذه الحياة، لأنَّهم علِموا أسراره وعواقبه.

يقول عليٌ أمير المؤمنين : «إنَّ علامة الرَّاغب في ثواب الآخرة زهدُهُ في عاجل زهرة الدُّنْيا...».

وعن الإمام الصَّادق : «جُعل الخير كلُّه في بيتٍ وجُعل مفتاحه الزُّهد في الدُّنيا».

فالمهم هو عدم الطمع أو التعلُّق بالدُّنْيا لنفسها، لذلك قد نرى غنياً زاهداً بالدُّنيا، وقد نرى غير غني تعلَّق قلبه بها.

فالكثير من الأولياء والأتقياء والعلماء كان لهم خدمٌ وحشمٌ بل اشتُهر بعضهم بالغنى واليُسْر، دون شكٍ في زهدهم وورعهم واحتياطهم في أمر الدِّين.

فهذه سُنَّةُ الإسلام الأصيل.

رُوِيَ عن سيِّدنا رسول الله (ص) : «طوبى لِمَنْ تواضع لله عزَّ ذكره، وزهد فيما أُحلَّ له من غير رغبة عن سُنَّتي، ورفض زهرة الدُّنيا من غير تحوُّلٍ عن سُنَّتي».

حقيقة الزُّهد:

يقول الإمام الخميني شآبيب رحمة الله عليه في «الأربعون حديثاً»:

«وما ورد في القرآن الكريم والحديث عن ذمِّ الدُّنيا، يعود إلى التوجُّه نحوها، وانشداد القلب إليها».

فما لم يتعلَّق القلبُ بها، ولم ينشدَّ إليها لا يكون مذموماً، بل هو مزرعةٌ للآخرة، ولا يتنافى هذا مع حقيقة الزُّهد والإعراض عنها، مع الاستفادة منها.

يُتابع رضوان الله عليه قائلاً:

«والدُّنْيا، وإنْ كانت ناقصة بذاتها، لكنْ بما أنَّها مهدُ تربية النَّفس القدسية، ودار تحصيل المقامات العالية، ومزرعةُ الآخرة، كانت المغنم الأفضل عند الأولياء وأهل سلوك الآخرة».

ويخلص إلى القول، رحمةُ الله تعالى عليه:

«فالمذموم من الدُّنْيا هو حُبُّها والتعلُّق بها، وهذا منشأ كلِّ المفاسد القلبية والظَّاهرية».

فالمهم، أنْ لا يركن السالك إلى الله عزَّ وجَلَّ لعطاءات الدُّنْيا، فيسكر بها، وأنْ لا يحزن على ما فاته ما دام ذلك لا يؤثِّر على إيمانه وسفره الأخروي.

يقول الإمام أمير المؤمنين : «الزُّهد كلُّه في كلمتين من القرآن، قال الله تعالى: {لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم}(95)، فَمَنْ لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فهو الزاهد».

وفي تنبيه الخواطر يقول : «يا ابن آدم، لا تأسف على مفقودٍ لا يردُّه إليك الفوت، ولا تفرح بموجود لا يتركه في يديك الموت».

فالسالك لا يأسف على ما فاته، ولا ينشغل عن آخرته بشيء، ولا ينتظر الفرج من أحد، ولا العِوض، ولا حمدَ النَّاس...

يقول الإمام الصَّادق : «الزُّهد مفتاح باب الآخرة، والبراءة من النَّار، وهو تركك كلَّ شيء يشغلك عن الله، من غير تأسُّف على فوتها، ولا إعجاب في تركها، ولا انتظار فرج منها، ولا طلب محمدة عليها، ولا عوض منها، بل ترى فوتها راحة، وكونها آفة، وتكون أبداً هارباً من الآفة، معتصماً بالرَّاحة».

كيف تُصبح زاهداً؟

البحث في هذا الموضوع بحاجة إلى بسط كلام، لكنْ الإشارة إلى بعض السُّبُل فيه خير كثير ما دام العمل به هو الشعار.

فتقليد الزاهدين، والامتثال بهم، في نظرتهم للدُّنيا وتواضعهم وطريقة حياتهم وقناعتهم... تُعلِّم الزُّهد.

يقول الإمام أمير المؤمنين : «التزهُّد يُؤدي إلى الزُّهد».

ويقول : «الزُّهد أن لا تطلب المفقود حتَّى تُعدم الموجود» في إشارة إلى الرِّضا والقناعة وترك الحرص والطمع.

وتقوية اليقين بالله والآخرة وما وُعد به الصالحون فيها، لا محالة يُساعد على الزُّهد.

في النصِّ المبارك عن الأمير : «أصلُ الزُّهد اليقين».

ويقول : «أصل الزُّهد حُسْنُ الرَّغْبة فيما عند الله».

ويتساءل قائلاً: «كيف يزهد في الدُّنيا مَنْ لا يعرف قَدْر الآخرة؟!».

وممَّا يُساعد على الزُّهد، ذكرُ نعيم الآخرة وعذابها، وهذا من الأمور الَّتِي أُهملت في مجتمعاتنا إهمالاً عظيماً في السنوات الأخيرة!

يُوصي أميرُ المؤمنين ابنه الحسن قائلاً:

«أكثِرْ ذكرَ الآخرة، وما فيها من النَّعيم والعذاب الأليم، فإنَّ ذلك يُزهِّدك في الدُّنيا ويُصغِّرها عندك، وقد نبَّأك الله عنها...».

وعن الإمام الباقر : «أكثِرْ ذكرَ الموت، فإنَّه لم يُكْثر إنسانٌ ذكر الموت إلاَّ زهد في الدُّنيا».

نصوصٌ مباركة

عن النَّبيِّ في حديث أنَّه قال:

«قلتُ يا جبرئيل: فما تفسير الزُّهد؟ قال: الزَاهد يحبّ من يحبّ خالقه، ويُبغض من يُبغض خالقه، ويتحرّج من حلال الدُّنيا ولا يلتفت إلى حرامها، فإنَّ حلالها حساب وحرامها عقاب، ويرحم جميع المسلمين كما يرحم نفسه، ويتحرّج من الكلام كما يتحرّج من الميتة الَّتِي قد اشتدَّ نتنها، ويتحرّج عن حطام الدُّنيا، وزينتها كما يتجنّب النَّار أن تغشاه، ويقصر أمله، وكان بين عينيه أجله».

«يا أبا ذرّ! إذا رأيت أخاك قد زهد في الدُّنيا فاستمع منه فإنَّه يلقى الحكمة.

«يا أبا ذرّ! ما زهد عبد في الدُّنيا إلاَّ أنبت الله الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه، ويبصّره عيوب الدُّنيا وداءها ودواءها، وأخرجه منها سالماً إلى دار السَّلام».

«من زهد في الدُّنيا هانت عليه المصيبات».

«الزُّهد في الدُّنْيا يريح القلب والبدن، والرَّغبة فيها تتعب القلب والبدن».

وعن أمير المؤمنين :

«ازهدْ في الدُّنيا يُبصِّرْك اللَّهُ عوراتها، ولا تغفل فلستَ بمغفول عنك».

عن مولانا الصَّادق :

«الرَّغبة في الدُّنيا تورث الغمَّ والحزن، والزُّهد في الدُّنْيا راحة القلب والبدن».

«حرام على قلوبكم أن تعرف حلاوة الإيمان حَتَّى تزهد في الدُّنْيا».

«إنَّ الزُّهاد فِي الدُّنْيا نورُ الجلال عليهم، وأثر الخدمة بين أعينهم، وكيف لا يكونون كذلك، وإنَّ الرَّجُل لينقطع إلى بعض ملوك الدُّنْيا فيُرى عليه أثرُهُ، فكيف بِمَنْ ينقطع إلى الله تعالى لا يُرى أثره عليه؟!».

وسُئل الصَّادق عن الزَّاهد في الدُّنْيا قال:

«الَّذي يترك حلالها مخافة حسابه، ويترك حرامها مخافة عقابه».

آدابٌ وسُنن

آداب اللباس

(خاصة في الصلاة)

. في كثير من بلاد المسلمين يلبسون العمامة... وهذا هو المستحب، في الصلاة وغيرها.

. من آداب لبس العمامة، التحنُّك، (أي فكُّ طرفها لينزل إلى الصدر...).

. أن يجعل رداءً فوق ثيابه (كالعباءة مثلاً).

. اللباس الأبيض هو اللباس المستحب (ويُكرهُ اللّباس الأسود، عدا العمامة...).

. الصلاة صِلَةً بين العبد وربّه، ومن الأدب لبس أنظف الثياب، وتُكرهُ الثِّياب الوسخة في الصلاة (من الغريب، أنَّ البعض يختار الثِّياب الرثَّة، أو الممزَّقة، أو الَّتي يخجل من لبسها أمام النَّاس... يختارها للصلاة!).

. من السُّنَّة الشريفة استعمال الطِّيب بشكل عام، وخاصةً في الصلاة.

ورد في النصِّ الشريف: «الصَّلاة مع الطِّيب تُعادل سبعين صلاة».

. البعضُ من الرِّجال، يُصلِّي بثيابه الداخليَّة أو بسروال قصير...

من الأدب والسُّنَّة المباركة سَتْرُ ما بين السُّرَّة والركبة على الأقل.

. من آداب اللِّباس أن تتزيَّن المرأةُ بقلادة.

. يُكرهُ الخاتم الَّذي عليه صورة.

. لباس الشهرة حرام كما هو معروف... وفي أفضل حالاته مكروه على كُلِّ حال.

. يكرهُ الثوبُ الَّذي عليه التماثيل.

(كما هي بعض الثِّياب المسمَّاة «إفريقيَّة»... أو رُبَّما الَّتي عليها صُوَرٌ في هذه الأيَّام، وبعضها يحرم).

. تُكره الثِّياب الَّتي توجب التكبُّر.

(جرت العادة في هذه الأيَّام للنِّساء أن يُصلِّينَّ بثيابٍ خاصة بالصَّلاة، ولا بأس بذلك، وهي لا توجب التكبُّر... فيبقى الكلام في لباس الرِّجال».

الموضوع السادس عشر

الموت

يقول ربُّنا جلَّ جلاله: {إنك ميّت وهم ميّتون}(96).

من أهم الحقائق الَّتِي يجب أن يعلمها ابن آدم ويستعدَّ لها ولِما بعدها: الموت.

هذا الموت الَّذِي سوف يقع به لا محالة، في العاجل القريب أم في الآجل، وكلاهما قريب الوقوع.

فالدُّنْيا لا تبقى لحي، ولا حيٌ، من البشر أو غيرهم، يبقى في هذه الدُّنْيا.

يموت المرءُ وحده، ويُدفن وحده، ويُبْعث وحده، ويُحاسب وحده، ثُمَّ يمضي إلى نعيم دائم أو عذاب قائم.

كراهية الموت لا تمنع وقوعه:

ليس كل ما يكرهه المرء لا يقع، فالنَّاس تكره المرض والفقر والبلاء والضَّعْف والوهن... وكلُّها تنزل بهم.

وتراهم يكرهون الموت، وهو نازلٌ بهم، فكلُ نفسٍ ذائقة الموت، حيث نراهُ كلَّ يوم بل كلَّ ساعة يخطف ما لا يُحصى من البشر، وأكثرهم غافلون!

والسالك إلى الله تعالى متأهِّب دوماً ومستعدٌ لساعة اللِّقاء والسَّفر الأخير ومفارقة الدُّنْيا.

{وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون}(97).

آباؤك وأجدادك كرهوا الموت وفرُّوا منه، وأخيراً أدركهم، وها أنت اليوم وريثهم... ثُمَّ تكون لغيرك وارثاً.

فالأيَّام، كما يقول أمير المؤمنين ثلاثة:

يوم مضى لا ترجوه، فيه الموعظة والاعتبار وألم الفراق وأعمالٌ نُحاسَبُ عليها.

ويوم بقي وهو الَّذِي أنْتَ فيه، يوشك على الوداع ليستحيل رجوعه من بعد.

ويوم يأتي، قد لا تُدركه، لنزول الموت الَّذِي يخطفك من أحبَّائك وأموالك.

{وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل}(98).

يقول أمير المؤمنين في نهج البلاغة: «أَولَيْسَ لكم في آثار الأَوَّلين مُزْدَجَر، وفي آبائكم الماضيَن تبصرةً ومُعْتبر، إنْ كُنْتُم تعقلون؟! أَولَمْ تَرَوْا إلى الماضين منكم لا يرجعون، وإلى الخلف الباقين لا يبقَوْن؟! أَوَلَسْتُمْ ترونَ أهلَ الدُّنْيا يُصبحون ويُمْسون على أحوالٍ شتَّى: فميّتٌ يُبكى، وآخرُ يُعزَّى، وصريعٌ مُبْتلى، وعائدٌ يعود، وآخرُ بنفسه يجود، وطالبٌ للدُّنْيا، والموتُ يطلُبُهُ، وغافلٌ وليس بمغفولٍ عنه، وعلى أثر الماضي ما يمضي الباقي».

لماذا نكره الموت؟!

لا شك أنَّ الَّذِي يخشى سوءاً من لقاء شخص أو لقاء ما، يكرهه، إمَّا لأنَّهُ قدَّم أفعالاً تُسيء وإمَّا لأنَّهُ لم يستعدَّ لهذا اللِّقاء، أو أنَّهُ لا يملك يقيناً بالآخرة وثوابها وعقابها فأهمل إعمارها.

وهكذا مَنْ قدَّم المعاصي وكان سيّيء الأفعال فإنَّهُ يخشى لقاء الله تعالى والفضيحة.

رُوِيَ عن أبي عبد الله الصَّادق ، قال: «جاء رجلٌ إلى أبي ذرّ فقال: يا أبا ذرّ، ما لنا نكرهُ الموت؟ فقال: لأنَّكُم عمَّرْتُم الدُّنْيا وأخربتم الآخرة، فتكْرَهونَ أنْ تُنْقلوا من عُمْران إلى خراب، فقال له: فكيف ترى قُدُومنا على الله؟ فقال: أمَّا المُحْسنُ منكم، فكالغائب يقدُمُ على أهله، وأمَّا المُسيءُ منكُمْ، فكالآبقُ يُرَدُّ على مولاه، قال: فكيف ترى حالنا عند الله؟ قال: اعرضوا أعمالَكُمْ على الكتاب، إنَّ الله يقول: {إن الأبرار لفي نعيم، وإن الفجار لفي جحيم} (سورة الانفطار:13،14) ، قال: فقال الرَّجُل: فأين رحمةُ الله؟ قال: {إن رحمة الله قريب من المحسنين} (سورة الأعراف: 56).

وفي هذا، يقول المقدَّس الإمام الخميني رضوان الله عليه:

«فنحن الناقصون نكره الموت بحسب فطرتنا، فالإنسان بطبعه يُحبُّ البقاء والحياة، ويكره الموت والفناء، ولأنَّنا لا نؤمن بعالم الآخرة والحياة الأزليَّة بقلوبنا، وإنْ كَانَ ذلك موجوداً بعقولنا.

ولو أنَّنا آمنَّا بعالم الآخرة والحياة الأبديّة عُشْر إيماننا بالحياة الدُّنْيا، لتعلَّقت قلوبُنا به ولعشِقناه أكثر، لكنْ، وللأسف، إنَّ إيماننا ينضب ويتزلزل، ويورث خوفاً من الموت والفناء، ولاَ بُدَّ من علاجٍ حاسم في دخول الإيمان إلى القلب عبر التفكُّر والذِّكر النافع والعلم والعمل الصالح.

وبعض النَّاس يكرهون الموت لأنَّهم استغرقوا عمرهم في تعمير الدُّنْيا ونسيان الآخرة، فلا يُحبُّون الانتقال من دار العمران إلى دار الخراب، كما يفترضون!!!».

انتهى كلامه رُفع في الجنَّة مقامه.

العاقلُ مَنْ يذكر الموت دائماً:

ورد في كثير من النُّصوص أنَّ المسلم يذكر الموت كثيراً ولا يغفل عنه، وهذا، وإنْ اعتُبر عند أهل الدُّنْيا والمتأثِّرين بالغرب والكفَّار عُقْدة نفسيّة، بحسب تعابيرهم، إلاَّ أنَّنا نعتبره عين الاستقامة والحكمة، بل من أهم صفات أهل اليقظة والآخرة.

ورد عن سيِّدنا رسول الله (ص) : «... والَّذِي نفسي بيده، ما طرفَتْ عيناي، إلاَّ ظننتُ أنَّ شفْريّ لا يلتقيان حتَّى يقبض الله روحي، ولا رفعتُ طَرْفي فظننتُ أنِّي واضعه حَتَّى أُقبض، ولا لقِمْتُ لُقْمةً إلاَّ ظننتُ أنِّي لا أُسيغها حَتَّى أغصَّ بها من الموت».

ثُمَّ قال : «يا بني آدم إنْ كنتم تعقلون فعُدُّوا أنفسكم من الموتى، والَّذِي نفسي بيده، إنَّ ما توعدون لآتٍ، وما أنتم بمعجزين».

ومن غريب الأمور أنَّ أكثرنا يرى الموتى من حوله كلَّ يوم، ثمَّ نتقاتل على حطام الدُّنيا ومتاعها ومالها وأكلها وشربها!

يقول : «أيُّها النَّاس، أما تستحيُّون من الله عزَّ وَجَلَّ؟! قالوا وما ذاك يا رسول الله (ص)؟ فقال: تجمعون ما لا تأكلون، وتأملون ما لا تُدركون، وتبنون ما لا تسكنون».

ألا يكفينا عبرةٍ بِمَنْ جمع ما لا يُحصى من المال، وتبوَّأ عظيم الجاه، ثمَّ أدركه الموت؟

يقول الله سبحانه: {أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون}(99).

فالمرء مهما عظُم شأنه وعلا كعبه فهو بين بليَّة نازلة أو نعمةٍ زائلة أو منيَّة قاتلة، ولا يملك أحدٌ النجاة منها.

يقول أمير المؤمنين في نهج البلاغة:

«أين العمالقة وأبناءُ العمالقة، أين الفراعنة وأبناءُ الفراعنة، أين أصحابُ مدائنِ الرَّسُ الَّذِينَ قتلوا النبيِّين، وأطفأوا سُنَنَ المرسلين، وأَحْيَوا سُنَنَ الجبَّارين، أين الَّذِينَ ساروا بالجيوشِ وهزموا بالألوفِ، وعسكروا العساكِرَ، ومدَّنوا المدائِنَ» (100) أين الشاه والسادات، أين أتاتورك وستالين، أين هيلا سيلاسي ولينين؟ أين غولدمائير ورابين؟

فهل في ذلك موعظة ومزدَجَر؟

نصوصٌ مباركة

عن رسول الله (ص) :

«إذا مات أحدكم فقد قامت قيامته، فاعبدوا الله كأنَّكم ترونه، واستغفروه كلَّ ساعة».

عن مولانا أمير المؤمنين :

«احذروا عباد الله الموت وقُربه، وأَعدّوا عدَّته، فإنَّهُ يأتي بأَمر عظيم، وخطب جليل، بخير لا يكون معه شرُّ أبداً، أَو شرٍّ لا يكون معه خيرٌ أَبداً، فمن أقرب إلى الجنَّة من عاملها! ومن أقرب إلى النَّار من عاملها!».

«إذا كنت في إدبار والموت في إقبال فما أسرع الملتقى!».

«إنَّ لله ملكاً يُنادي في كلِّ يوم: لدُوا للموت، واجمعوا للفناءِ، وابنوا للخراب».

وعن مولانا زين العابدين :

«أشدّ ساعات ابن آدم ثلاث ساعات: السَّاعة الَّتِي يعاين فيها ملك الموت، والسَّاعة الَّتِي يقوم فيها من قبره، والسَّاعة الَّتِي يقف فيها بين يدي الله تبارك وتعالى، فإمَّا إلى الجنَّة، وإمَّا إلى النَّار...».

وعن مولانا الصَّادق :

«إنَّ قوماً أتوا نبيّاً لهم فقالوا: أُدع ربّك! يرفع عنَّا الموت، فدعا لهم فرفع الله تبارك وتعالى منهم الموت، وكثروا حَتَّى ضاقت بهم المنازل وكَثُر النَّسل، وكان الرَّجُل يصبح فيحتاج أن يطعم أباه وأُمّه وجدّه وجدّ جدّه ويوضّيهم ويتعاهدهم، فشغلوا عن طلب المعاش فأتوه فقالوا: سل ربّك أن يردّنا إلى آجالنا الَّتِي كُنَّا عليها، فسأل ربّه عَزَّ وَجَلَّ فردَّهم إلى آجالهم».

وعن مولانا الرِّضا :

«إنَّ أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن: يوم يولد ويخرج من بطن أُمّه فيرى الدُّنْيا، ويوم يموت فيعاين الآخرة وأهلها، ويوم يبعث فيرى أحكاماً لم يرها في دار الدُّنْيا...».

* * *

آدابٌ وسُنن

آداب النوم والاستيقاظ

(القسم الأول)

. يستحب الوضوء للنوم، حيث ورد عن رسول الله (ص) : «مَنْ نام على الوضوء، إنْ أدركه الموتُ في ليله، فهو عند الله شهيد».

وفي النصِّ عن الإمام الصَّادق : «مَنْ تطهَّر ثم أوى إلى فراشه، بات وفراشُهُ كمسجده».

. يجوز التيمُّم للنوم، حَتَّى مع التمكُّن من استعمال الماء.

. يُستحب قبل النوم، أن يعرض نفسه على الخلاء (ليتخلَّص من البول...) ثمَّ يتوضَّأ وينام.

ورد عن علي أمير المؤمنين : «وإذا نمتَ، فاعرضْ نفسك على الخلاء، فإذا استعملت هذه، استغنيتَ عن الطب».

. من الأدب عند النَّوم، محاسبة النَّفس، والتوبة (تستحب التوبة أو تجديدها، حَتَّى من غير معصية، أمَّا معها فتجب فوراً، ولا ينتظر ساعة نومه).

. يُستحبُّ النَّوم مُسْتقبل القبلة بصفحة وجهه، وعلى جانبه الأيمن.

ورد عن أمير المؤمنين قولُهُ: «... والمؤمن ينام على يمينه، مستقبل القِبلة...».

. لا بأس أن يتوسَّدَ النائم يمينَهُ (يتَّخذها وسادة) فيَجْعلَ خدَّه الأيمن على باطن يده اليُمْنى.

وإلى ذلك أشار أمير المؤمنين عن نَفْس المؤمن: «... افترشت أرضها، وتوسَّدت كفَّها...».

. يستحب قراءةُ سورٍ وآياتٍ معيَّنة، منها: {قل هو الله أحد} ، {ألهاكم التكاثر} آية الكرسي، {قل يا أيها الكافرون}
.

الموضوع السابع عشر

توقير العلماء

للعلماء في الإسلام مكانةٌ خاصة حيث كرَّمهم وجعلهم في منازل مقدَّسة تعظيماً للعلم الَّذِي يحملونه والَّذِي به يهتدي البشر إلى صراط الله العزيز الحميد.

بل إنَّ الإسلام أنزل العلماء درجات قريبة من الأنبياء كما سوف نرى إن شاء الله في طيِّ الأسطر القادمة، وهكذا نشأت الأُمَّة الإسلاميّة بأفرادها على كافة مستوياتهم جاعلة للعلماء مكانة عزيزة خاصة، حَتَّى وصلت الحملة الغربية إلى بلادنا منذ قرنين من الزَّمن وأخذت تُخرِّج أجيالاً علمانية أو ملحدة تُسقط هيبة العلماء، وتُكثر من الإشاعات والنُّكات حولهم، وتُعظِّم بعض سقطاتهم، وتستغل أخطاءهم لمزيدٍ من الطَّعن والتوهين، فنشأت طبقة للأسف تُشكِّك في دور علمائنا وفي قيمة العلم الَّذِي يحملونه وفي كلِّ ما يتعلَّق بهمُ من حرمة وتأثير، وهدفهم الأساسي هو الطَّعن في الإسلام ليس إلاَّ.

والمتأمِّل في سيرة علمائنا والسَّلف الصالح من أهل التَّقوى والإيمان يرى كيف يذكرون بعضهم باحترام، والمثال الواضح على ذلك طريقة مخاطبة وتناول المقدَّس الإمام الخميني رضوان الله عليه للعلماء في كتابه «الأربعون حديثاً» حيث لا يذكرهم إلاَّ بالألقاب الجميلة والصفات الحبيبة والترحمُّ عليهم وافتداء الرُّوح بهم وأصناف شتَّى من الكلمات القدسيَّة السامية:

فيُعبِّر عن الكُلَيْني بثقة الإسلام والمسلمين تارة، وبحجَّة الفرقة وثقتها أُخرى، وشيخ المحدِّثين وأفضلهم ثالثة، وعن نصير الدّين الطوسي بأفضل المتأخِّرين وأكمل المتقدِّمين، وعن البهائي العاملي بالشيخ الجليل العارف، وعن المجلسي بالمحقِّق المدقِّق...

مكانة العلماء في الإسلام:

جعل الإسلام حرمةً وقدسيَّةً للعلماء مستفادة من حرمة وقدسيَّة العلم الَّذِي جاء به وحمله وضحَّى من أجله الأنبياء .

فجعلهم حيث أقدس خلق الله قريباً من درجة أصحاب العلم الَّذِي كانوا أُمناء عليه إلى يوم القِيَامَة.

ورد في النصّ المقدَّس عن سيّدنا رسول الله (ص) : «أقرب النَّاس من درجة النُّبوَّة أهلُ العلم والجهاد...».

وهم بحقٍ ورثة الأنبياء يحملون مبادئهم وشريعتهم وأخلاقهم وأهدافهم وأساليبهم... فلماذا لم يكونوا ورثتهم؟

في النصّ الشريف عن سَيّدنا رسول الله (ص) : «العلماء ورثة الأنبياء».

وعنه : «العلماء ورثة الأنبياء، يُحبُّهم أهلُ السَّماء، ويستغفر لهم الحيتان في البحر إذا ماتوا إلى يوم القِيَامة».

وكما كان الرجوع إلى الأنبياء في الأزمان السالفة هو مسلك المؤمنين، كذلك بعد أن خُتمت الرِّسَالات بخاتم الأنبياء المصطفى يرجع المؤمنين إلى ورثتهم بالحقّ وهم العلماء العاملون المخلصون ليُستفاد من أحاديثهم وأنوارهم وأخلاقهم...

فعن سيّدنا رسول الله (ص) : «العلماء مصابيح الأرض، وخلفاء الأنبياء، وورثتي، وورثة الأنبياء».

ويقول الإمام الصَّادق : «إنَّ العلماء ورثة الأنبياء، وذلك أنَّ الأنبياء لم يُورِّثوا درهماً ولا ديناراً، وإنَّما ورَّثوا أحاديث من أحاديثهم، فمن أخذ شيئاً منها فقد أخذ حظّاً وافراً، فانظروا علمكم هذا عمَّن تأخذونه...».

وكما كان من الأدب كُلَّما ذُكر رسولٌ أو نبيٌ أنْ نُسلِّم عليه، كذلك من حقِّ العلماء علينا كُلَّما ذُكر أحدهم أن يُرفَقَ ذلك بدعاء، حيّاً كان أم ميّتاً.

وهذه سيرة كُلِّ علمائنا في كلماتهم وكتاباتهم، من قبيل: روحي فداه، أيَّده الله تعالى، متَّعنا الله بطول بقائه... قُدِّس سرُّه الشريف، رحمة الله عليه، رضوان الله عليه... إلى كثيرٍ من الألقاب الَّتِي يطول ذكرها.

وقد وُعد طلابُ العلم المخلِصون بأن يوفِّيَهم الله أجورهم مع الأنبياء، خير خلق الله عزَّ وجَلَّ، جزاء بما كانوا يعلمون ويُعلِّمون ويعملون.

وفي النصّ الشريف عن سيّدنا رسول الله (ص) :

«طالب العلم ركن الإسلام، ويُعطى أجره مع النَّبيّين».

العالِم وإن مات، حيٌ بعلمه:

قضت سُنَّةُ الله في كل حيٍ أن يموت، ولو كان نبيّاً مُقرَّباً أو رسولاً مُعظَّماً... إلاَّ أنَّ علم هؤلاء لا يموت لأنَّهُ من لدُن عزيز خبير، ولاَ بُدَّ أنْ يبقى ويستمر ويُخلَّد، وإلاَّ ضاعت البشرية، وضلَّ النَّاس، وفات الهدف من بعثة الأنبياء .

وهكذا يستمر علم مَنْ ورثهم لنفس الأسباب والأهداف المتقدِّمة... وإنْ ماتوا، فتموت أجسادهم ولا يموت علمهم وأمثالهم.

يقول أمير المؤمنين عليّ : «والعلماء باقون ما بقي الدَّهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة».

وعنه : «العالِم حيٌ وإنْ كان ميِّتاً».

فسبحان الله تعالى الَّذِي يُميتُ الأجساد ويُخلِّد العلوم الإلهيَّة.

النَّظر إلى وجه العالِم عبادة:

ومن جملة العناوين العظيمة الَّتِي اختصَّ بها الإسلام عن غيره من المبادىء والأديان المدَّعاة وجعل للعلماء موقعاً مُتميَّزاً أنْ جعل النَّظر إلى العالِم عبادة.

ولا يخفى أنَّ المقصود بذلك هو الاعتبار والامتثال والاقتداء والتبجيل للعلم وليس لمجرَّد الشخص فالعالم هو الأب الرُّوحي لهذا المسلم السالك إلى الله تعالى، والنَّظر إليه بسبب صفته المعنويَّة نوع من البرِّ والوفاء وصدق الانتماء.

رُوي عن رسول الله (ص) : «النَّظر إلى وجه العالِم حباً له عبادة».

فهو المذكِّر بالأنبياء والصَّالحين وبأهل الله والآخرة، وهو الَّذِي يوقظ الغافلين من سُباتهم.

سُئِلَ الإمام جعفر بن محمد الصَّادق عن قول جدِّه رسول الله (ص) إنَّ النَّظر في وجوه العلماء عبادة... فقال: «هو العالِم الَّذِي إذا نظرتَ إليه ذكَّرك الآخرة، ومَنْ كان خلاف ذلك فالنَّظر إليه فتنة».

يقول الإمام الخميني قُدِّس سرُّه الشريف في «الأربعون حديثاً»:

كلُّ إنسان له أبٌ جسماني، وكلُّ عالِمٍ له أبٌ روحاني، هم الأنبياء .

والتربية والتعليم بعد الأنبياء من شؤون العلماء، الورثة الحقيقيُّون للأنبياء، فهم لا يملِكون درهماً ولا ديناراً، فَتَرِكَتُهُم علمٌ ومعارف».

تكريم العالِم:

أوصى الإسلام بتكريم العالم في علاقاتنا اليوميّة معه، وانعكس ذلك في تاريخ المسلمين، حَتَّى أصبح الحديث حول علاقة العلماء بطلابهم، والعكس، يأخذ حيّزاً تفصيلياً في كتب الأخلاق، ويستطيع المُراجع أن يستفيد كثيراً من ذلك.

وفي نصٍ معبّرٍ عن سيّدنا رسول الله (ص) قال: «مَنْ استقبل العلماء فقد استقبلني، ومَنْ زار العلماء فقد زارني، ومَنْ جالس العلماء فقد جالسني، ومَنْ جالسني فكأنَّما جالس ربّي».

وعن عليٍّ أمير المؤمنين قولُه:

«إذا رأيت عالماً، فكُنْ له خادماً».

نصوصٌ مباركة

قال رسول الله (ص) :

«موت العالم ثلمة في الإسلام لا تسدّ ما اختلف اللَّيل والنَّهار».

«ما قبض الله تعالى عالماً من هذه الأُمَّة إلاَّ كان ثُغرة في الإسلام لا تسدُّ ثُلمَته إلى يوم القِيَامة».

«فضل العالم على غيرهِ كفضل النَّبِيّ على أُمَّته».

«العلماء قادة، والمتّقون سادة».

وعن مولانا الصَّادق :

«الملوك حكَّام على النَّاس والعلماء حكَّام على الملوك».

«إذا كان يوم القِيَامة بعث الله عَزَّ وجَلَّ العالِم والعابد فإذا وقفا بين يدي الله عزَّ وجلَّ قيل للعابد: انطلق إلى الجنَّة، وقيل للعالم: قف تشفع للنَّاس بحسن تأديبك لهم».

«قال لقمان لابنه»: للعالِم ثلاث علامات: العلم بالله، وبما يحبُّ، وما يكره».

وعنه أيضاً :

«كان أمير المؤمنين يقول: إنَّ للعالِم ثلاث علامات: العلم، والحلم، والصّمت».

آدابٌ وسُنن

آداب النَّوم والاستيقاظ

(القسم الثاني)

. لِمَنْ أراد الاستيقاظ في ساعة معيَّنة، فليقرأ الآية الأخيرة من سورة الكهف، وهذا أمرٌ مُجرَّب.

{قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما إلهاكم إله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربّه أحداً}(101) .

. ما يفعله كثيرٌ من أجيال المسلمين اليوم، من كثرة النَّوم، مكروه، لأَنَّهُ فائضٌ عن الحاجة.

ورد في النصِ الشريف: «كثرةُ النَّوم مذهبة للدِّين والدُّنْيا».

. أوَّل عملٍ عند الاستيقاظ من النَّوم ينبغي أنْ يكون السجود مباشرة، ثُمَّ يقول: «الحمد لله الَّذِي أحياني بعد موتي، إنَّ ربِّي لغفورٌ شكور».

ورُوي أنَّه: ما استيقظ رسول الله (ص) من نوم، إلاَّ خرَّ لله ساجداً».

. كان «لا ينام» إلاَّ والسواك عند رأسه، فإذا نهض بدأ بالسواك».

. وكان إذا استيقظ من نومه، يتلو الآيات المباركات من سورة آل عمران، من الآية التسعين بعد المائة، إلى الآية الرابعة والتسعين بعد المائة.

. مَنْ أراد قيام اللَّيل، يُنْصح بعدم الإكثار من الطعام عند العشاء، خاصة إلى حدِّ التُّخْمة، وأن يترك الذنوب والحرام، خاصة الكذب (الترك واجب، لكنْ تأثيره على المنع من قيام اللَّيل عجيب) وأن يتجنَّب التفكير في فضول الدُّنيا، وحظوظ النَّفس كالحسد والتكبُّر...

ويُنصح أن يقوم فوراً بعد الاستيقاظ... ويفعل السُّنن المتقدِّمة من السجود والدعاء والتِّلاوة... ثمَّ يتوضَّأ.

الموضوع الثامن عشر

حرمة المؤمن

لا شك أنَّ للمؤمن حرمة عظيمة جعلها الله تعالى له كرامة لإيمانه ولكلمة التوحيد الَّتِي نطق بها، فميَّزتْه عن الكافرين بأصنافهم.

وكفى للمؤمن عزّاً أنْ يكون الله جلَّ جلاله العظيم الجبَّار وليَّه في تسديده وتأييده.

يقول سبحانه في محكم التنزيل: {الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور}(102).

وبعد ولاية الله للمؤمن، جعل المؤمنين جميعاً أولياء لبعضهم البعض، فهم كالجسد الواحد، قال تعالى:

{والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله}(103).

ومن فضله سبحانه، أنْ منَّ على المؤمن بأن جعل عزَّته من عزَّته عزَّ وجلَّ، وليس وراء هذه الكرامة كرامة.

قال جلَّ جلاله: {ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون}(104).

الكرامات الخاصة بالمؤمنين:

كما أنَّ المؤمن ليس كغيره في عزَّته وكرامته وحرمته وآخرته، كذلك كانت له مزايا وكرامات يختصّ بها دون غيره من البشر، والمتأمِّل في شريعة الله تعالى وتفاصيل الأحكَّام الفقهية يرى أنَّ للمؤمن أحكاماً تخصُّه في سائر المجالات، وهذا فضلٌ من الله تعالى.

فهو الَّذِي له شأنٌ عند خالقه، وعند أهلِ السَّموات والأرض، وتُجلِّله الرَّحمة بمجرَّد أنْ يتعامل مع الآخرين بصفته الإيمانيّة.

رُوِي عن أبي عبد الله الصَّادق قولُه: «إنَّ المؤمن ليزهر نوره لأهل السَّماء كما تزهر نجوم السَّماء لأهل الأرض».

وفي نصٍ أنَّهُ سُمع يقول: «ليس لأحدٍ على الله ثواب على عمل، إلاَّ للمؤمنين».

وفي فضل المؤمنين يقول : «إذا التقى المؤمنان كان بينهما مائة رحمة، تسع وتسعون لأشدِّهما حبّاً لصاحبه».

ويقول : «إنَّ المؤمنَيْن ليلتقيان فيتصافحان، فلا يزال الله عليهما مقبلاً بوجهه، والذنوب تتحات عن وجوههما حَتَّى يفترقا».

فضح المؤمن وأذيَّته يقرِّب من الكفر:

من جملة الكرامات المجعولة للمؤمن عدم جواز التجسُّس عليه وأذيَّته أو فضحه في خصوصيَّاته الَّتِي لا يُريد لأحدٍ أن يطَّلع عليها، لذلك كان الدخول إلى بيت المؤمن أو التصرُّف بماله أو أغراضه أو الاطِّلاع على حاله بحاجة إلى إذنٍ صريح منه، وإلاَّ حرم ذلك.

قال الله العزيز الحكيم: {ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً}(105).

وفي النصِّ الشريف: «أقرب ما يكون العبد إلى الكُفْر أنْ يكون الرَّجُل مواخياً للرَّجُل على الدِّين، ثمَّ يحفظ زلاَّته وعثراته ليضعه بها يوماً ما».

عن سيِّدنا المصطفى قولُه:«ومَنْ عيَّر مؤمناً بشيءٍ لم يمتْ حَتَّى يركبه».

التبرُؤ من المؤمن يُؤدّي إلى الكفر:

قضى الله تعالى المحبَّة والولاية بين المؤمنين، وهذا يبقى ويستمر مهما وقع بينهم من سوءِ تفاهم أو خلاف... وعلى كُلِّ حال لا يجوز لمؤمن أن يتبرَّأ من رباط الأخوَّة الَّذِي جعله الله بينهما.

فالمؤمنون أخوةٌ متحابون، أمَّا مَنْ اتَّهم أخاه بالعداوة، نعوذ بالله تعالى، فهذا معرَّضٌ لذهاب إيمانه.

يقول الله عزَّ ذكره: {وألّف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألّفت بين قلوبهم ولكن الله ألّف بينهم}(106).

ويقول سبحانه: {فأصبحتم بنعمته إخواناً}(107).

وفي الحديث الشريف: «ما من مؤمنَيْن إلاَّ وبينهما حجاب، فإنْ قال له: لستَ لي بولي فقد كفر، فإنْ اتَّهمه فقد انماث الإيمانُ في قلبه، كما ينماث الملحُ في الماء».

وعن أبي عبد الله الصَّادق : «لو قال الرَّجُل لأخيه أُفٌّ لك، انقطع ما بينهما، قال: فإذا قال له: أنت عدوّي فقد كفر أحدهما، فإنْ اتَّهمه انماث الإيمانُ في قلبه، كما ينماث الملح في الماء».

من حقّ المؤمن على أخيه النصيحة والنُّصْرة:

من الواجب الشرعي نصرةُ المؤمن عند حاجته لذلك، وعندها، لا يجوز خذلانه أو التغاضي على ما هو فيه وتركه يُواجِهُ وحيداً، كذلك تجب النصيحة، ومَنْ أهمل ذلك، تصدَّى الله تعالى للانتقام منه جزاءً لإهماله أخيه.

ويُشير الإمام الخميني رضوان الله عليه إلى أنَّ المؤمن مقرَّبٌ إلى الله تعالى إلى درجة أنْ تكون إهانته حرباً عليه سبحانه، وذلك في سياق شرحه للحديث الشريف عندما سأل النَّبِيّ ربَّه، قال:

«يا ربِّ ما حالُ المؤمن عندك؟ قال: يا مُحَمَّد، مَنْ أهان لي ولياً، فقد بارزني بالمحاربة، وأنا أسرع شيءٍ إلى نُصْرة أوليائي».

ورد في جملة أحاديث عن الإمام الصَّادق ، قال: «ما من مؤمن يخذل أخاه وهو يقدر على نصرته إلاَّ خذله الله عزَّ وجلَّ في الدُّنْيا والآخرة».

وقال: «أيُّما مؤمن مشى مع أخيه في حاجة ولم يُناصِحْه، فقد خان الله ورسوله».

حرمة المؤمن لا توصف:

يشرح الإمام الخميني عليه الرَّحمة والرِّضوان الحديث الَّذِي يُصرِّحُ أنَّ المؤمن لا يوصف، وذلك لحرمته وعظمته.

«والمؤمن لا يوصف، وإنَّ المؤمن لَيَلْقى أخاه فيُصافحه، فلا يزال الله ينظر إليهما، والذنوب تتحات عن وجوههما، كما يتحات الورق عن الشجر».

فيقول: «المؤمنون لا يعرفون شيئاً عن نورانيّة إيمانهم، ما داموا في الدُّنْيا وعالَمِ الطَّبيعة.

إنَّنا ونحن في هذه الدُّنيا نُقارن آلاء وآلام الآخرةِ مع المحيط الَّذِي نعيش، فنظن أنَّ عطايا الله مثلاً كعطايا ملوك الدُّنيا أو أكثر بقليل... مع أنَّ شيئاً من لذات الآخرة لا يُقاس بِكُلِّ لذَّات الدُّنْيا.

ومن هذا الباب لا يُمكن أنْ يُقاس ما ذُكر عن كرامة المؤمن في هذا الحديث وفي غيرهِ بأيِّ مقياس أو ميزان...

فالعناية الربَّانيّة هي الَّتِي تُحكِّمُ الوُدَّ والمحبّة بين المؤمنين، وتُجدِّد عهد الأُخُوَّة فيه سبحانه وتعالى».

انتهى كلامه، رُفع في الجنَّة مقامه.

وفي حرمة المؤمن الَّتِي لا توصف ولا يعرفُ قَدْرها أحدٌ من البشر كما أشار إلى ذلك الإمام الخميني رحمة الله عليه، ورد في الحديث الشريف:

«إنَّ لله عزَّ وجلَّ في الأرض حرماتٍ، حرمة كِتَاب الله، وحرمة رسول الله (ص)، وحرمة أهل البيت، وحرمة الكعبة، وحرمة المسلم».

نصوصٌ مباركة

نظر النَّبِيّ إلى الكعبة فقال:

«مرحباً بالبيت ما أعظمك وأعظم حرمتك على الله؟! والله للمؤمن أعظم حرمةً منك لأنَّ الله حرّم منك واحدة ومن المؤمن ثلاثة: ماله ودمه وأن يُظنَّ به ظنُ السّوء».

وعنه أيضاً :

«ما استفاد امرؤ مسلم فائدة بعد فائدة الإسلام مثل أخ يستفيده في الله».

«إنَّ المؤمن يُعرف في السَّماء، كما يعرف الرَّجُل أهله وولده، وإنَّهُ لأكرم على الله عزَّ وجلَّ من ملك مقرَّب».

«إنَّ الله جَلَّ ثنائه يقول: وعزّتي وجلالي ما خلقت من خلقي خلقاً أحبُّ إليَّ مِنْ عبدي المؤمن...».

«النَّظر إلى الأخ تودّه في الله عزَّ وجلَّ عبادة».

وعن مولانا الصَّادق :

«من أتاه أخوه المؤمن فأكرمه فإنَّما أكرم الله عَزَّ وجَلَّ».

«من قال لأَخيه مَرحباً كتب الله له مرحباً إلى يوم القِيَامة».

«إنَّ المؤمن يخشع له كلّ شيء، ويهابه كلّ شيء، ثمَّ قال: إذا كان مخلصاً لله أخاف الله منه كلّ شيء حَتَّى هوامّ الأرض وسباعها وطير السَّماء، وحيتان البحر».

«المؤمن أعظم حرمة من الكعبة».

وعن مولانا الرِّضا :

«من استفاد أخاً في الله عزَّ وجلَّ استفاد بيتاً في الجنَّة».

آدابٌ وسُنن

آداب صلاة الجماعة

. من السُّنَّة الشريفة، أن يقف الإمام في وسط الصف، وليس على أحد طرفيه.

. أمَّا المأموم:

فإن كان رجلاً لوحده، يقف عن يمين الإمام.

وإنْ كانوا أكثر، يقفون خَلْفه،

وإن كان امرأةً لوحدها، وقفت خلفه على الجانب الأيمن (بحيث يكون سجودها محاذياً لركبة الإمام عند سجوده، أو لمكان وقوفه).

وإن كُنَّ أكثر وقَفْنَ خلفه...

. أن يكون في الصفِ الأوَّل أهلُ العلم والكمال والعقل والورع والتَّقْوى.

. دائماً، الوقوف في الجهة اليُمْنى من الصفوف أفضل من اليُسْرى.

. من المستحبات (المهجورة وللأسف) كونُ الصفوف مستقيمة، وأن لا يكون بين المصلِّي وأخيه فراغٌ، أن يُحاذي المصلُّون بين المناكب (فتكون الأكتاف متلاصقة متراصَّة).

وهذا المشهد في الصَّلاة، في أكثر الأحيان نفتقده اليوم، وينبغي الحرصُ عليه تعظيماً لشعائر الدِّين.

. من السُّنَّة أن تتقارب الصفوف، فلا يكون بين الصفِ والآخر إلاَّ مقدار ما يحتاجه المصلِّي لسجوده.

. من الأدب أن تكون صلاة الإمام، كأضْعف مَنْ معه في الجماعة، فلا يُطيل في قراءته وقنوته وركوعه وسجوده... إلاَّ إذا أراد كلُّ المأمومين ذلك.

. يُسْتحب للإمام أن يُسْمع مَنْ خلفه القراءة الجهريَّة والأذكار في الركوع والسجود والتشهُّد... وهذا الاستحباب فقط للإمام دون المأمومين.

. أن يُطيل ركوعه (بمقدار الضِعْف) إذا أحسَّ بدخول شخص، انتظاراً له ليلتحق بالجماعة، حرصاً على الثواب.

. من الأدب، أن لا يقوم المأمومون للصلاة، إلاَّ عند قول المقيم «قد قامت الصلاة»... فيقومون عندئذٍ ويقولون:

«اللَّهُمَّ أَقِمْها وأدِمْها، واجعلني من خير صالحي أهلها».

. أن يقول المأموم عند انتهاء الإمام من قراءة الفاتحة «الحمد لله ربّ العالمين».

الموضوع التاسع عشر

حقوق المسلم

يقول الإمام الخميني شآبيب رحمة الله تعالى عليه:

«اعلمْ أنَّ قلب المؤمن أزهر، يسلُكُ به الصراط المستقيم... والمؤمنون تابعون للإنسان الكامل النَّبِيّ الخاتم ، يسيرون على ضوء هدايته ولا يعتمدون على أنفسهم في سَيْرهم إلى الله تعالى، ويُحافظون على صفاء قلوبهم من شياطين الأنانيَّة والذَّات».

ومن هَدْي النُّبوَّة حقّ المسلم على أخيه حيث لا يجوز التهاون ولا التفريط وهي عديدة.

قضاء حاجته:

بأنْ يسعى في قضائها أو يتوسَّط في ذلك أو يُظهر اهتماماً حقيقياً قَدْر طاقته، وإنْ لم يُوفَّق لذلك، فالله تعالى لا يُضيّع أجر المحسنين.

وفي النصِّ الشريف: «مَنْ مشى لامرىء مسلم في حاجته فنصحه فيها، كتب الله له بِكُلِّ خطوة حسنة، ومحى عنه سيِّئته، قُضيت الحاجة أو لم تُقضَ».

وفي نصٍ آخر «إنَّ الله عزَّ وجلَّ انتخب قوماً من خلقه لقضاء حوائج فقراء من شيعة علي ليُثيبهم بذلك الجنَّة».

والنُّصوص في هذا الموضوع بالعشرات.

السكوت عن عيوبه:

فإذا كان عنده عيبٌ ينصحه، ويُخوِّفه كما لو ارتكب حراماً، ويُنَبِّهُهُ، ويُقبِّح القبيح في عينه، ويُحسِّنُ الحسن.

وفي النصِّ الشريف: «مَنْ ستر عورة مؤمن، ستر الله عزَّ وجلَّ عورته يوم القِيَامة، ومَنْ هتك سَتْرَ مؤمن هتك الله سَترهُ يوم القيامة.

وعن الباقر : «لا ترموا المؤمنين، ولا تتَّبعوا عثراتهم، فإنَّهُ مَنْ يتَّبع عثرة مؤمن يتَّبع الله عزَّ وجلَّ عثرته، ومَنْ يتَّبع اللَّهُ عزَّ وجلَّ عثرته فضحه في بيته».

الدعاء له في حياته وبعد مماته:

فالدعاء للمؤمن حقٌ في كُلِّ ما يُحبُّ لنفسه وأهله، بل لا تُفرِّق بينك وبينه في الدعاء.

ورد عن النَّبي :

«إذا دعا رجلٌ لأخيه في ظهر الغيب قال المَلَك: ولك مثلُ ذلك».

وعن قوله تعالى: {ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله}(108) يقول الإمام الباقر : «هو المؤمن يدعو لأخيه بظهر الغيب، فتقول له الملائكة: آمين، ويقول الله العزيز الجبَّار: ولك مِثْلا ما سألت، ولقد أُعطيتَ ما سألتَ بحبِّك إيَّاه».

وعن المسلم إذا مات وحاجته للدعاء، رُوِي عن سيِّدنا مُحَمَّد : «مَثَلُ الميِّت في قبره مَثَلُ الغريق يتعلَّق بِكُلِّ شيء، ينتظر دعوةً من ولدٍ أو والد أو أخٍ أو قريب، وإنَّهُ لَيَدْخُلُ على قبور الأموات من دعاء الأحياء من الأنوار مثل الجبال».

الوفاء والإخلاص له في حياته ومماته:

والمقصود بذلك الثَّبات على الحبِّ له، وهو حبٌ في الله تعالى، ويدوم ذلك إلى ما بعد الموت مع أولاده وخاصَّته.

قيل: «قليل الوفاء بعد الوفاة خيرٌ من كثير الوفاء في حال الحياة».

وأكرم النَّبي عجوزاً دخلت عليه، فقيل له في ذلك، فقال: «إنَّها كانت تأتينا أيَّام خديجة».

المساعدةُ في المال:

وهذه تكون عند حاجته إنْ كنتَ مستطيعاً لذلك، يقول الله تعالى: {ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة}(109).

وعن الباقر : «مِنْ أحبِّ الخصال إلى الله عزَّ وجلَّ ثلاثة: مسلمٌ أطعم مسلماً من جوع، أو فكَّ عنه كُرْبة، أو قضى عنه دَيْناً».

حبُّه في الله عزَّ وجَلَّ:

يُحبُّ له ما يُحبُّ لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه، قال الإمام الصَّادق لأصحابه: «اتَّقوا الله، وكونوا إخوةً بررة متحابين في الله متواصلين متراحمين، تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا أمرنا».

ترك أذيَّته:

بقولٍ أو فعل، كما في روايات كثيرة تُشير إلى أنَّ المسلم مَنْ سَلِمَ المسلمون من يده ولسانه...

وعن الباقر : «والمؤمن حرامٌ على المؤمن أن يظلمه أو يخذِلَهُ أو يغتابه أو يدفعه دفعة».

أن لا يسمع الإشاعات والأقاويل في حقّه:

فابن آدم مُبْتلى بالحسد والغَيْرة والكِبْر والضعف أمام تسويلات الشَّيطان الرجيم، فيخترع البلاغات الكاذبة ويُبالغ في الأحداث الواقعة، فلا يجوز الاستماع إلى ما يُسْقط المؤمن أو يتَّهمه.

رُوي عن النَّبي : «لا يدخل الجنَّة قتَّات».

وعن الباقر : «مَنْ روى على مؤمنٍ رواية يريد بها شَيْنه وهَدْم مُروَّته ليسقط من أعين النَّاس أخرجه اللهُ تعالى من ولايته إلى ولاية الشَّيطان فلا يقْبَله الشَّيطان».

أن يُوقّر المشايخ ويرحم الصبيان:

وذلك بتقديم كبير السِّن دائماً في كافة المجالس والضِّيافة وغيرها مِمَّا يُؤدي إلى تكريمه، وأنْ يُلاطف ويرأف ويترحَّم على مَنْ هو دونه في السِّن خاصة صغارهم.

رُوي عن النَّبي : «ليس مِنَّا مَنْ لم يُوقِّرْ كبيرنا ولم يرحمْ صغيرنا».

وعنه : «من تمام إجلال الله إكرامُ ذي الشَّيْبة المسلم».

ستر عورته:

وهذا من بديهيات الوفاء وعهد الإسلام.

رُوِي عن النَّبي : «مَنْ ستر على مسلم ستره الله تعالى في الدُّنيا والآخرة».

حمل جنازته:

رُوِي عن الباقر : «مَنْ مشى مع جنازة حَتَّى يُصلِّي عليها ثمَّ رجع كان له قيراط، وإذا مشى معه حَتَّى يُدفن كان له قيراطان، والقيراط مثل أُحُد».

ويزور قبره ليفرح ويستأنس كما في النُّصوص الكثيرة، ويعمل البرَّ ويهديه ثوابه خاصة، كما ورد، ما يدخل إلى قبر الميِّت كالصلاة والحجِّ والصدقة والبرِّ والدعاء، ويُكتب أجرُهُ للَّذِي يفعله وللميِّت.

في حديثٍ جامع:

سُئل أبو عبد الله ما حقّ المؤمن على المؤمن؟ قال: «إنِّي عليك شفيق، إنِّي أخاف أن تعلَمَ ولا تعمل وتُضيِّع ولا تحفظ، قال: فقلت: لا حول ولا قُوَّة إلاَّ بالله.

قال: للمؤمن على المؤمن سبعة حقوق واجبة، وليس منها حقّ إلاَّ وهو واجب على أخيه، إنْ ضيّع منها حقّاً خرج من ولاية الله، وترك طاعته، ولم يكن له فيها نصيب.

أيسر حقّ منها: أن تُحبَّ له ما تُحبَّ لنفسك، وأن تكرهَ له ما تكرهَهُ لنفسك.

والثَّاني: أن تعينَهُ بنفسك ومالك ولسانك ويديك ورجليك.

والثَّالث: أن تتّبعَ رضاه، وتجتنبَ سخَطَهُ، وتُطيعَ أمرَهُ.

والرَّابع: أنْ تكون عينَهُ ودليلَهُ ومرآتَهُ.

والخامس: أنْ لا تشبعَ ويجوع، وتروى ويظمأ، وتكتسي ويعرى.

والسادس: أنْ يكون لك خادم [وليس له خادم] ولك امرأة تقوم عليك وليس له امرأة تقوم عليه، أن تبعث خادمك يغسل ثيابه، ويصنع طعامه ويهيّىء فراشه.

والسابع: أن تبرّ قسمه، وتجيب دعوته، وتعود مرضته، وتشهد جنازته، وإنْ كانت له حاجة تبادر مبادرة إلى قضائها، ولا تكلّفه أنْ يسألكها، فإذا فعلت ذلك، وصلتَ ولايتك بولايته، وولايته بولاية الله عزَّ وجَلَّ.

نصوصٌ مباركة

عن رسول الله (ص) :

«إنَّ أحدكم ليدع من حقوق أخيه شيئاً فيطالبه به يوم القيامة فيقضى له وعليه».

وعن مولانا الصَّادق :

«مَنْ عظَّم دين الله عظّم حقّ إخوانه، ومَنْ استخفّ بدينه استخفّ بإخوانه».

«ما عُبِد الله بشيء أفضل من أداء حقّ المؤمن».

«سُئل الصَّادق : ما أدنى حقّ المؤمن على أخيه؟ قال :

«أن لا يستأثر عليه بما هو أحوج إليه منه.

في بيان حقوق المؤمن:

«... أيسر حقّ منها أن تحبّ له ما تحبّ لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك...».

«حقّ المسلم على المسلم أن لا يشبع ويجوع أخوه، ولا يروى ويعطش أخوه، ولا يكتسى ويعرى أخوه...».

آدابٌ وسُنن

آداب المشي

. من السُّنَّة مَشْيُ التواضع.

. يُسْتحبُّ خَفْضُ الطَّرْفِ عند المشي، كما كان يفعل رسول الله (ص) .

(أي غضُّ البصر والنظر إلى الأرض).

. يُسْتثنى من حرمة أو كراهة مشية التَّبختر ما إذا كان ذلك أمام الأعداء.

. من السُّنَّة أن تمشي المرأة على جانِبَيْ الطريق لا في وسطها.

. السرعة في المشي مكروهة من غير ضرورة.

. ليس من السُّنَّة السَّفر وحيداً كما المبيتُ وحيداً.

. لا يجوز السَّفر إلى البلد الَّذِي يُخْشى منه على الدِّين أو الَّذِي يضطرُّ فيه إلى ارتكاب المحارم.

الموضوع العشرون

الحذر من عادات الكفَّار والاقتداء بهم

من الأمور الَّتِي ابتُلي بها المسلمون في العقود الأخيرة أنْ أصبح الكفَّار نموذجاً لهم يُقلِّدونهم في مظهرهم وأفكارهم وطريقة عيشهم وحَتَّى في لهجتهم وألفاظهم.

بينما في المفهوم الإسلامي الأصيل لاَ بُدَّ للمسلم كفرد وللمسلمين والمجتمع أن يتميَّزوا عن غيرهم في سائر الأمور المستطاعة.

وأكَّد الإمام الخميني على ذلك، رحمة الله عليه، وهذا هو نهج علمائنا العظام وفقهائنا الأجلاَّء، وإنْ كان الإمام سبَّاقاً إلى بعض الفتاوى كتحريمه لبس ربطة العنق المتدلِّية ثمَّ ربطة الفراشة من هذا المنطلق.

بل إنَّهُ رضوان الله عليه ذكر جملة من الفتاوى الَّتِي تُميِّز بين المسلم وغيره فيها العلوُّ والعزَّة والرِّفعة لأهل ملَّة التوحيد (110) .

ومثل هذا الكلام ذكره أستاذ الإمام رضوان الله عليهما، الشيخ عبَّاس القمي في كتابه «مفاتيح الجنان».

وعلى هذا المنوال أفرد سماحة ولي أمر المسلمين الإمام الخامنئي باباً خاصاً في استفتاءاته تحت عنوان «عدم جواز تقليد الكفَّار» فيما يختصون ويُعرفون به.

ولو عمل المجتمع الإسلامي بهذه التوجُّهات والفتاوى لردَّ على مظهر كبير من مظاهر التغريب الَّذِي يندرج تحت عنوان العولمة.

مظاهر تقليد الكفَّار المحرَّمة:

المظَّاهر المحرَّمة للكفَّار هي الأمور الَّتِي يُعرفون بها عن غيرهم فلا يجوز للمسلم تقليدهم في عاداتهم وأعيادهم وطريقة عيشهم ولبسهم... وقال الله تعالى عنهم: {وأكثرهم الفاسقون}(111).

فنرى البعض يحتفل بأعيادهم الدِّينيَّة وغيرها، وهذه من العادات الَّتِي لم تكن معروفة قط في المجتمع الإسلامي عندما كان عزيزاً وصاحب مبادرة وسؤدُد.

فيُعظِّم الحبُّ، بحسب مفهومهم، والعشاق والموسيقى والخمر... تحت عناوين الفرح والأعياد.

وحذَّر الله عزَّ وجلَّ من ذلك بقوله: {ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفّاراً}(112).

المتشبِّه بهم عدوٌ لله تعالى:

لا شك أنَّ المتشبّهِ بالكفَّار يُجلُّهم ويتَّخذهم قدوةً ويُكْبر من قِيَمهِم وعقائدهم... فهو بلا ريب يُقوي باطلهم ويدعم ضلالتهم.

رُوي عن الإمام الصَّادق قال: «أوحى الله إلى نبي من الأنبياء، قُلْ للمؤمنين: لا تلبسوا لباس أعدائي، ولا تطعموا مطاعم أعدائي، ولا تسلكوا مسالك أعدائي فتكونوا أعدائي كما هم أعدائي».

يقول المحدِّثُ الكبير مُحْيي سُنَنَ مُحَمَّد وآله الشَّيخ عبَّاس القمي (113) رحمة الله عليه:

«يُسْتفاد من آيات وأحاديث كثيرة، أنَّ المسلم عليه أن يجتنب عن مودَّة الكفَّار، والتحابب والميل إليهم، والتشبُّه بهم وسلوك طريقهم».

وحدَّثنا الله سبحانه عن أبي الأنبياء أسوة المؤمنين سيِّدنا إبراهيم والَّذِين معه حيث قالوا لقومهم:

{إنا برءؤا منكم وممّا تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً}(114).

فهل يبقى على صحة الإيمان مَنْ انبهر بالكفَّار واتَّبعهم... ولم يُبال بقوله تعالى:

{يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولّهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين}(115).

لا يجوز تسليم الولاية للكفَّار:

لأنَّ هذا لو حصل والعياذ بالله تعالى فسوف يُؤدِّي فوراً أو تدرُّجاً إلى اضمحلال مجتمع المؤمنين.

فكما أنَّ المؤمن وليُّهُ الله تعالى، كذلك للكفَّار أولياء {والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت}(116).

فكيف يتَّخذ المؤمن الكافرين أولياء؟!

قال الله سبحانه محذِّراً: {يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين}(117).

وجعل سبحانه الَّذِين يُخالفون هذا الأمر منافقين كما في الآية الَّتِي بعدها.

وكيف يكونون أولياء وقد اتَّخذوا ديننا وصلاتنا هُزُواً ولَعِباً، وينقمون مِنَّا أنْ آمنَّا بالله (118) ؟!

قال الله سبحانه: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفّار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين}(119).

وحذَّر الله مانعاً مِمَّا ابتُلينا فيه في عصرنا اليوم، فقال: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولّهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين} (120) .

خطورة التشبُّه تزداد في هذا الزَّمن:

في الزَّمن السابق كان المسلم يُحذَّر إذا اضطُر للسَّفر أو الإقامة في بلاد الكفَّار من التأثّر بهم وبعقائدهم مِمَّا يُشكِّل خطراً على عاداتنا المقتبسة عن الأنبياء .

أمَّا اليوم فالخطورة زادت عندما أخذت عاداتهم ومظاهرهم وممارساتهم تنتقل إلى مدارسنا وشوارعنا وعِقْر ديارنا... من خلال وسائل الإعلام المختلفة، ورُبَّما دون أن نشعر أو ندري.

فالخطر بات أعظم، لأنَّ الرَّجُل المسلم بات لا يأمن على أهله وأطفاله من هذا الغزو الَّذِي يدخل خِلْسة دون استئذان... بل لا يأمن على نفسه أيضاً.

وسبحان الله تعالى القائل:

{وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون}(121).

فيا أيُّها المسلم المطيع المعتزُّ بدينه، لا تَنْسَ قول الله عزَّ وجَلَّ: {ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا}(122).

فتاوى الإمام الخميني في عزَّة المسلم على الكافر:

يقول الإمام رحمة الله تعالى عليه في تحرير الوسيلة (123) :

«كلُّ بناء يستجدُّهُ ويُحْدِثُهُ الذِّمي لا يجوز أن يعلو به على المسلمين من مجاوريه...

والظَّاهر أنَّ عدم جواز العلو من أحكام الإسلام، فلا دخل لرضا الجار وعدمه فيه».

ويقول رضوان الله عليه:

«ينبغي أنْ يُشْترط في عقد الذِّمة كلُّ ما فيه نفع ورِفْعة للمسلمين وضِعةٌ لهم،... ومن ذلك اشتراط التميُّز عن المسلمين في اللِّباس والشَّعْر والركوب والكِنى».

ويقول وليُّ أمر المسلمين السيِّد الخامنئي في بعض فتاويه:

«وأمَّا ما كان منها (الألبسة) يُنافي ارتداؤه للعِفَّة والأخلاق الإسلامية، أو كان ارتداؤه يُعدُّ إشاعةً للثقافة الغربية المعادية، فلا يجوز استيرادُها ولا بيعُها وشراؤها ولِبْسها... والمناط في حرمة ما كان من هذا القبيل كونه تشبُّهاً بأعداء الإسلام وترويجاً لثقافتهم».

ويقول أيَّده الله تعالى وسدَّد خطاه:

«لا يجوز لبس ربطة العنق وشبهها مِمَّا يكون من لباسٍ وزي غير المسلمين بحيث يُؤدِّي إلى نشر الثقافة الغربية المعادية، ولا يختصّ الحكم بمواطني الدَّولة الإسلاميّة».

نصوصٌ مباركة

قال الله سبحانه وتعالى:

{من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً}(124).

{الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً}(125).

رُوي عن النبيّ :

«غيِّروا الشَّيب ولا تتشبَّهوا باليهود».

وقيل للإمام الحسن بن علي :

«فيك عظمة،فقال : بل فِيَّ عزَّة، قال الله: {ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين}(126).

وعن الصَّادق :

«أوحى الله إلى نبي من الأنبياء أنْ قُلْ لقومك: لا تلبسوا لباس أعدائي، ولا تطعموا مطاعم أعدائي، ولا تشاكلوا بما شاكل أعدائي، فتكونوا أعدائي كما هم أعدائي».

وعنه قال:

«إنَّ الله فوَّض إلى المؤمن أمره كلَّه ولم يُفوِّضْ إليه أنْ يكون ذليلاً، أمَّا تسمع الله يقول: {ولله العزَّة ولرسوله وللمؤمنين} فالمؤمن يكون عزيزاً ولا يكون ذليلاً، فإنَّ المؤمن أعزُّ من الجبل».

آدابٌ وسُنن

آداب المجالس

(القسم الأول)

. أفضل المجالس، ما استُقْبل به القِبْلة، وكان رسول الله (ص) أكثر ما يجلس تجاه القِبْلة.

. فَسْحُ المجال للداخل، قال عزَّ وجلَّ: {يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجلس فافسحوا يفسح الله لكم}(127).

أو التزحزح له قليلاً قدر الميسور، فهذا من حقِّه.

. الداخل يجلس حيث ينتهي به المجلس، دون إزعاج للآخرين أو مضايقتهم أو تخطّي رقابهم.

(هذا كلُّه إذا لم يُفْسح له، وإلاَّ يُجيبُ فوراً ويجلس حيث أرادوا ذلك).

ورد في النصِّ الشريف: «فإن دعا رجلٌ أخاه، وأوسَعَ له في مجلسه، فَلْيَأْتِهِ»

فإنَّما هي كرامة أكرمه بها أخوه، وإنْ لم يوسِّعْ له أحدٌ، فَلْيَنْظر أَوْسَعَ مكانٍ يجدُهُ، فَلْيَجْلِسْ فيه».

. التحيَّةُ بالسلام لِمَنْ قَرُبَ منك عند الجلوس.

. الجلوسُ حيث يريد صاحبُ البيت أو صاحبُ الدَّعوة.

. عدم الجلوس مقابل الباب الَّذِي يُظنُّ وجودُ الحريم فيه (كالمطبخ والغرف الداخليَّة وغرف النوم) أو لا يرتضيه صاحبُ المنزل (كما لو كان لديه أمورٌ مبعثرة أو أشياءٌ خاصة).

. المقصود بالتَّزَحْزُحِ المستحب: الحركة البسيطة كَمَنْ يريد إفساح المجال للآخرين، أو مَنْ يُريدُ القيام... كتعبير عن التأهيل بالقادم.

وهذا مطلوبٌ، حَتَّى مع وجود سعَةٍ في المكان، حيث كان رسول الله (ص) جالساً وحده، وبمجرَّد أنْ رأى قادماً يقصُدُهُ، تزحزح من مكانه، فقال الرَّجُل: في المكان سعَةٌ يا رسول الله (ص)! فقال :

«إنَّ حقَّ المسلم على المسلم إذا رآه يريد الجلوس إليه، أن يتزحزح له».

الموضوع الحادي والعشرون

ذكر الله تعالى على كل حال

المسلم الَّذِي يذكر الله ذكراً كثيراً في حِلِّه وترحاله، في سفره وحضره، وفي كُلِّ ساعة، يكون من الَّذِينَ أُنعم عليهم بنعمةٍ عظيمة لا تُقدَّر حيث فسح الله في حياته وصحته ليتبارك باسمه الشريف.

والغافل عن ذلك، وفيهم كثير من المؤمنين، محرومون عن التلذُّذ بهذه النِّعمة الَّتِي أُمرنا بها في القرآن الكريم بقوله تعالى:

{يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيراً}(128).

الإسلام يُربّي أتباعه على الذِّكر:

حثَّ الإسلام أتباعه على ذكر الله دائماً وفي كُلِّ حالاتهم: في الخوف والمرض والوجع وقبل النوم وبعده وعند الطعام والخروج من المنزل وعند رؤية شيءٍ جميل وعند حدوث النِّعمة وعند البرق والرَّعد وقضاءِ الدَّين وطلب الرزق وركوب الدابَّة... أي في كلِّ حركة وسكون، ليبقى العبد مع خالقه تعالى يستمدُّ منه القُوَّة والطمأنينة ويستعينه للهداية ويلجأ إليه من الانحراف والضلال.

ولو تأمَّلنا في ذلك وغيره لرأينا أنَّ المطلوب من المسلم دائماً أنْ يتقلَّب بين ذكر وذكر، إنْ كان واجباً أو مستحباً، سِرّاً أو جهراً.

يقول الإمام الخميني عليه الرَّحمة والرِّضوان:

«يُستفاد من الأحاديث المباركة استحبابُ ذكر الله تعالى في السِّر وفي الجهر:

في السِّر تأديباً وتهذيباً للنَّفس، وفي الجهر في أذان الإعلام وفي الخطبة والسوق وعند غفلة النَّاس وشغلهم لكي ينتبهوا، كما في الحديث الشريف: «الذاكر لله عزَّ وجلَّ في الغافلين، كالمقاتل في المحاربين».

انتهى كلامه رُفع في الجنَّة مقامه.

فيكفي شرفاً وكرامة لأهل الإسلام أنَّ ذاكر الله تعالى منهم يذكره عزَّ وجلَّ أيضاً، قال سبحانه: {فاذكروني أذكركم}(129).

وفي النَّص الشريف: إنَّ موسى على نبيِّنا وآله وعليه السلام لمَّا ناجى ربَّه عزَّ وجلَّ، قال: «يا ربِّ، أبعيد أنت منيِّ فأُناديك، أم قريبٌ فأُناجيك؟

فأوحى الله جلَّ جلاله: أنا جليس مَنْ ذكرني».

يقول مولانا المقدَّس الإمام الخميني رضوان الله عليه:

«الله تعالى مُنزَّهٌ عن القرب والبُعْد... وما ذُكر في بعض الآيات فمِنْ باب المجاز والاستعارة، كما في قوله تعالى: {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلّهم يرشدون}(130).

وقوله عزَّ وجلَّ: {ونحن أقرب إليه من حبل الوريد}(131).

كرامة الذاكرين:

لاَ بُدَّ من تعويد النَّفس على الذكر لتُصبح مَلَكَةً راسخة عند صاحبها تَصْدُرُ منه دون تكلُّف، كما يقول الإمام الخميني رحمة الله تعالى عليه.

ويُتابع قائلاً: الذكر لآيات الله يرفع الحجب، وكذلك التحابب بين النَّاس في الله وهو سببٌ قائم بحدِّ ذاته لمحبة الله سبحانه «الَّذِين يذكرونني فأَذْكُرُهم، ويتحابُّون فِيَّ فأُحبُّهم» (132) .

وهؤلاء لهم كرامة خاصة في رَفْع العذاب عنهم «أولئك الَّذِين إذا أردتُ أن أُصيب أهلَ الأرض بسوء ذكَرْتُهُم، فدفعتُ عنهم بهم» (133) .

انتهى كلامه رحمه الله عزَّ وجلَّ.

وصيَّة عليٍّ (ع) لابنه الحسن: الذكر على كُلّ حال:

وينبغي للمؤمن ترويضُ لسانه على الذِكْر عند كُلّ حدثٍ خارجي أو شعورٍ داخلي، فيُحيي قلبَهُ ويُهذبُ نفسه ويُطهِّر روحه (134) .

يقول مولانا أمير المؤمنين في وصيَّته لابنه الحسن: «وكُنْ لله ذاكراً على كُلِّ حال».

وقال موسى لربِّهِ سبحانه: «يا ربِّ إنِّي أكون في حالٍ أُجِلُّك أنْ أذكرك فيها، قال: يا موسى، اذكرني على كُلِّ حال».

وورد من الذكر الشريف في السُّنَّة المطهَّرة ما ينبغي حفظه ونشره والتقيُّد به: فأشرف الذكر وأعلاه: لا إله إلاَّ الله

ولكلِ همٍ وغمٍ: ما شاء الله

ولكلِّ نعمةٍ: الحمد لله

ولِكُلِّ رخاءٍ: الشُّكر لله

ولِكُلِّ أعجوبة: سبحان الله

ولِكُلِّ ذنب: أستغفر الله

ولِكُلِّ مصيبة: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون

ولِكُلِّ ضِيقٍ: حسبِيَ الله

ولِكُلِّ قضاءٍ وقدر: توكَّلتُ على الله

ولِكُلِّ عدوٍ: اعتصمت بالله

ولِكُلِّ طاعة ومعصية: لا حول ولا قُوَّة إلاَّ بالله العلي العظيم

وعليك ما استطعت وفي كُلِّ الحالات: بالصَّلاة على مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد.

وبذلك يترك المؤمن الكثير من الكلمات الرائجة والمصطلحات المتداولة، والَّتِي رُبَّما قد لا تُناسب مفاهيمه.

وينقل الإمام الخميني عن العارف الجليل الشيخ الأنصاري قوله:

«التذكُّر فوق التفكُّر، فإنَّ التفكُّر طلب، والتذكُّر وجود، فالتفكُّر طلبٌ للمحبوب، والتذكُّر حصولٌ للمطلوب».

وبعد كلام مفيد يقول:

«فيا أيُّها العزيز، روِّض قلبك على تذكُّر المحبوب جلَّ وعلا، لتكون «لا إله إلا الله» الطيِّبة، الصورة النِّهائية للنَّفس».

ذكر اللِّسان وذكر القلب:

يقول الإمام الخميني رحمه الله:

«إنَّ ذكر الحقِّ من صفات القلب، والأفضل أنْ يُتْبع بالذِّكر اللِّساني، وأكمل مراتبه الذكر الجاري على ظاهر الإنسان وباطنه، وسرِّهِ وعلنه... في حركةِ وسكونِ العين واللِّسان واليد والرِّجْل، مبدوَّةً ومختومةً بذكر الحقِّ تعالى {بسم الله مجراها ومرساها}(135).

وكُلَّما انخفضت وتراجع الذِّكر عند الإنسان، انتُقص من كماله بنفس النِّسْبة.

والذِّكر اللِّساني الَّذِي هو أقلُّ مراتب الذِّكر، يُمكنُ أن يُؤدِّيَ، مع التكرار والمواظبة، إلى تفتُّح لسان القلب.

وقال شيخنا العارف الكامل الشاه آبادي، روحي فداه:

إنَّ الذاكر يحب أن يكون كالمعلِّم للطفل الصغير نطق الكلمات، فمع التكرار، ينطق الطفل بلسانه، ويرتاح المعلِّم لذلك، فلسان الفمِ يذكر أولاً، ثمَّ يتبعه لسانُ القلب... هذا في المراحل الأولى، ثمَّ، ينفتح لسان القلب بالذِّكر، ويتبعه لسانُ الفم.

يُتابع الإمام الخميني قائلاً:

في الآيات والرِّوايات مدحٌ عظيم وثناء كبير على ذكر الله سبحانه باللِّسان، فهذا محبوبٌ ومستحبٌ بذاته، ويقود في النهاية إلى الذِّكر القلبي كما تُشير الآيات المباركات.

والأحاديث المذكورة في فضل ذكر الله وكيفيَّته وآدابه وشرائطه، تفوق استيعاب هذه الصفحات».

نصوصٌ مباركة

قال الله سبحانه وتعالى:

{يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا, وسبحوه بكرة وأصيلا}(136).

{كي نسبّحك كثيرا، ونذكرك كثيراً}(137).

عن رسول الله (ص) :

«عليك بتلاوة القرآن وذكر الله كثيراً فإنَّهُ ذكرٌ لك في السَّماء ونور لك في الأرض».

«ليس عمل أحبُّ إلى الله ولا أنجى لعبد من كُلِّ سيئة في الدُّنيا والآخرة من ذكر الله «قيل: ولا القتال في سبيل الله؟» قال: لولا ذكر الله لم يؤمر بالقتال...».

عن مولانا الصَّادق :

«ما من شيءٍ إلاَّ وله حدّ ينتهي إليه إلاَّ الذِّكر فليس له حدّ ينتهي إليه، فرض الله عزَّ وجلَّ الفرائض فمن أدّاهنَّ فهو حدّهنَّ... إلاَّ الذِّكر فإنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يرض منه بالقليل ولم يجعل له حدّاً ينتهي إليه» ثُمَّ تلا هذه الآية: {يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا}.

«أكثروا ذكر الله ما استطعتم في كُلِّ ساعة من ساعات اللَّيل والنَّهار فإنَّ الله أمر بكثرة الذِّكر له».

آدابٌ وسُنن

آداب المجالس

(القسم الثاني)

. ليس من السُّنَّة مدُّ الرجْل أمام الجليس، فهذا من سوء الأدب... فكيف في هذه الأيَّام حيث تُرفع أو تُمدُّ بطريقة استفزازيَّة متكبِّرة، أمام النَّاس... وأمام الوالدين!

. ليس من السُّنَّة الشريفة الاستغراقُ في «وشوشةِ» الآخرين... وهناك جلوس أو مَنْ ينتظر.

. عدم الجلوس في الأماكن المخصَّصة للغير، بسبب عُرْفٍ أو عادةٍ ما... فالأفضل أن يُدْعى المرءُ إلى مجلس أرفع أو أعلى، من أن يُطْلب منه تركُ المكان الَّذِي احتلَّه.

ورد في الخبر: لا تُسْرعنَّ إلى أرفع موضعٍ في المجلس، فإنَّ الموضع الَّذِي تُرفعُ إليه، خيرٌ من الموضع الَّذِي تُحَطُّ عنه».

. إذا قُدِّم أَهلُ المناصب الدُنْيويَّة، كالسِّياسيّين والرَّسميّين والحزبيين والدبلوماسيين والإقطاعيين... لاَ بُدَّ عندئذٍ من تقديم المؤمن، خاصة إذا كان معروفاً... وقد يحرم ترك ذلك في بعض الأحيان (كما لو أدَّى إلى إهانة المؤمن أو العالِمِ).

. من السُنَّة المطهَّرة، تقديم بعض النَّاس في المجالس، ومنهم:

أ . مَنْ كان مَقْصَداً للسؤال، بسبب علمه.

ب . ومَنْ ينطق إذا عجز القوم، بسبب حكمته وسَعَةِ اطّلاعه.

ج . أهلُ الرَّأي والمشورة، أي، أهلُ الحلِّ والعقد.

. ليس من سُنَّة رسول الله (ص) التردُّدُ أو التواجدُ في بعض الأماكن، فمنها المكروه (وقد يحرم) ومنها المحرَّم.

ومن الأماكن المكروهة: الوقوف على جوانب الطرقات والمفارق، الجلوس في المقاهي الَّتِي يقصدها اللاهون والعابثون والمضيّعون للوقت، والجلسات الَّتِي تُقسِّي القلب بكثرة الكلام ولغو الحديث...

ومن الأماكن المحرَّمة: مجالسُ الكُفْرِ والاستهزاءِ بالدِّين وأهله، ومجالسُ التَّهكُّمِ بالإسلام، والمعاندةِ لمفاهيمه وأحكامه وعباداته ورموزه وعلمائه والمؤمنين.

(من هنا تظهر حرمة حضور بعض المجالس تحت عنوان الثقافة والحوار... ولا يُردُّ فيها على التُّهم الموجَّهة ضد الإسلام، والشُّبهات حول شرع الله).

كذلك تحرم مجالسُ الغِيْبة والمنكر وشرب الخمر والرقص... وما يُسمَّى «الحفلات الفنيَّة» كالغناء والطَّرب والموسيقى... إذا لم يستطعْ المرءُ تغييرها.

قال الله عزَّ وجلَّ: {وقد نزّل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم إنّ الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً} (سورة النساء: 140).

والنُّصوص في شأن ما تقدَّم، بالتفصيل، كثيرةً جداً.

الموضوع الثاني والعشرون

الحياء

من صفات المسلم الحريص على طاعة ربِّه «الحياء» فإنَّهُ خَيْرٌ كلُّه كما ورد في النُّصوص الشريفة، فينضبط المتديّن في قوله وفعله وشكله ضمن الموازين الشرعية والأعراف المحمودة السائدة، وذلك بترك ما يُخجل منه.

والحياء أنواع كثيرة، وقد يكون من الله عزَّ وجَلَّ وقد يكون من الخلق، ولا يُمكن تناول كُلّ أشكاله في عجالة.

الحياء صفة مطلوبة:

لا ننسى أنَّ ربَّنا سبحانه حيِّي، ونبيَّنا كان كثير الحياء موصوفاً بهذه الصِّفة حَتَّى أَنَّهُ اشتُهر بها، وكان أشدَّ حياء من الفتاة في خَدْرها، وأنَّ الحياء سببٌ إلى كُلِّ جميل ومفتاحٌ لِكُلِّ خير.

ورد في النصّ عن سيّدنا رسول الله (ص) : «إنَّ الحياء من شرائع الإسلام».

وعن أمير المؤمنين : «مَنْ كساه الحياء ثوبه خفي على النَّاس عيبه».

وكتب الإمام الصَّادق إلى أصحابه: «... وعليكم بالحياء والتنزُّه عمَّا تنزَّه عنه الصالحون قبلكم».

ويقول الإمام الخميني، رحمة الله عليه، في كتابه «آداب الصَّلاة» عندما يتحدَّث عن آداب اللِّباس بشكل عام:

«يتضِّح إذنْ، أنَّ هناك تأثيراً متبادَلاً بين الظَّاهر والباطن، وعليه ينبغي بالإنسان الطالب للحقّ والساعي للارتقاء المعنوي، أن يجتنب عند اختياره مادة اللِّباس وشكله، ما يُؤثِّر سلباً على الرُّوح، ويُخرج القلب عن استقامته، ويورث الغفلة عن الحقِّ تعالى، ويجعل توجُّهات الرُّوح دنيوية».

التشبُّه بأهل الحياء:

حَتَّى يكتسب السالك إلى الله تعالى الحياء، لاَ بُدَّ له ابتداءً من التشبُّه بالصالحين في مسلكهم، الَّذِين اتَّخذوا رسول الله (ص) قُدْوة لهم في حياتهم، وأنْ يبتعد بالمقابل عن أهل الفُحْش والفساد والَّذِين أصبحوا في السنوات الأخيرة، للأسف، مثالاً للأجيال الصاعدة.

قال رسول الله (ص) : «ما كان الفُحْش في شيءٍ قط إلاَّ شانه، ولا كان الحياء في شيءٍ قط إلاَّ زانه».

وعنه : «إنَّ الله يُحبُّ الحيِّيَّ المتعفِّف، ويُبْغض البذيء السائل المُلْحف».

والحياء على كُلِّ حال لأهل الإيمان آكد، وذلك لشرافة ما يحملون من معتقد وطُهْر، ولأنَّهم مَحَطُّ أنظار النَّاس فيتَّبعونهم في طريقة حياتهم ويتشبَّهون بهم في لباسهم وكلامهم ونظراتهم.

قال الله سبحانه مبرِّزاً صفة المرأة المؤمنة: {فجاءته إحداهما تمشي على استحياء}(138).

فجعلها الله قدوةً خالدة للنِّساء لذكره إيَّاها في القرآن الكريم.

أمثلةٌ عمَّا يكون فيه الحياء:

في النصِّ عن سيِّدنا رسول الله (ص) : «لو كان الحياء رجلاً لكان صالحاً».

فالرَّجُل الصالح يتَّصف بالحياء في قوله، فألفاظه بعيدة عن ذكر السُّباب والشتائم والكلمات المحرَّمة والمستغربة لفحشها...

كما لا يجوز له التصريح بارتكابه ما لا يجوز، إذا ابتُلي بذلك لا سمح الله، «فلا إيمان لِمَنْ لا حياء له».

والله تعالى لا يُحبُّ أن تشيع الفاحشة في الَّذِين آمنوا.

وليس معافى في إيمانه، مَنْ عمل المعصية باللَّيل، فيستره ربُّه، وعند الصباح يقول: يا فلان إنِّي عملت البارحة كذا وكذا.

والرَّجُل الصالح لا يتردَّد إلى أماكن الفساد، ولا يُشير بجوارحه أو بغمزه ولمزه وقسمات وجهه إلى دلالات قبيحة، ولا يمشي كما المخنَّثين أو المغنِّين أو الفاسقين «فكثرة حياء الرَّجُل، دليلٌ على إيمانه».

من هنا، يجب على الآباء والأُمَّهات الحذر ونهي أطفالهم عن مثل هذه الأمور الَّتِي يُشاهدونها في المجتمع ووسائل الإعلام، فضلاً عن تعويدهم وتعليمهم ذلك.

ومن هذا المنطلق التحذيرات المتكرِّرة لسماحة آية الله العظمى السيِّد الخامنئي من تعليم الأطفال الرقص (مع أنَّهم غير مكلَّفين) والترويج للموسيقى، إذْ لا صلاح في ذلك وليس من أهداف المجتمع الإسلامي.

أمَّا الغناء (وهو شائع جداً في المدارس ووسائل الإعلام) فحرمته واضحة بِكُلِّ أنواعه وأشكاله، وحَتَّى لو كان المرء لوحده في الغرفة، لأنَّ حرمته ذاتية، وهذا من مسلَّمات مذهب الشيعة.

والرَّجُل الصالح أيضاً يحرص على الحياء في اللِّباس، فلا يلبس ما لا يليق به، ولا يفتح أزرار قميصه على صدره، ولا الثِّياب الضَّيِّقة الَّتِي تُفصِّل الجسد أو الشفَّافة.

هذا كلُّه في الرِّجال، أمَّا النِّساء فأَمْرُهُنَّ أشدّ.

ورد عن رسول الله (ص) : «الحياء عشرة أجزاء، فتسعة في النِّساء وواحدة في الرِّجال».

فهذه الأمور ونظائرها، ليست من صفات أهل الصَّلاح والورع والإيمان، ومَنْ كان حريصاً على دينه يلتفت إليها جيِّداً «فَمَنْ لم يستحِ من النَّاس، لم يستح من الله سبحانه».

والعجب مِمَّنْ يدعو في هذه الأيَّامِ إلى الوقاحة وقلَّة الحياء ويعتبرها حضارةً وتحدِّياً للتقاليد والعادات!!!

والبعض يدعو النِّساء خاصة للخروج عن حيائهنَّ تحت عنوان تحرير المرأة وحقوقها، ويُسمَّي ذلك ثقةً بالنَّفس وقُوَّة في الشخصيَّة!!!

إذا ذهب الحياء ذهب الإيمان:

الحياء كما تقدَّم حرصٌ على الدِّين ومراقبة للفعل والجوارح والشكل، فَمَنْ لم يُبال بحيائه لا يبالي بدينه، ومَنْ فرط في حيائه فرَّط في دينه.

رُوي عن مولانا رسول الله (ص) : «الحياء هو الدِّين كلُّه».

وعن الإمام الباقر قال: «الحياء والإيمان مقرونان في قرن، فإذا ذهب أحدهما تَبِعَهُ صاحبه».

وعن الإمام الصَّادق : «لا إيمان لِمَنْ لا حياء له».

يقول الشيخ الأنصاري الَّذِي أوصى الإمام الخميني بقراءة كتابه (منازل السائرين): «قال الله تعالى: {ألم يعلم بأنّ الله يرى}(139)».

في الآية إشعار بأنَّ الحياء ينشأ من الإيمان، وأنَّ الله يرى عبده «فإنْ لم تكن تراه فإنَّهُ يراك».

والحياء من أوائل مدارج أهل الخصوص، يتولَّد من تعظيم منوطٍ بوُدٍ، إذ لولاهما لم يُبال بما يفعل عند مَنْ لا يحتشمه ولا يودُّه.

والدرجة الأولى من الحياء، حياءٌ يتولَّد من علم العبد بنظر الحقِّ إليه، فيجذبه إلى تحمُّل المجاهرة، ويحمله على استقباح الجناية.

نصوصٌ مباركة

رُوي عن سيِّدنا رسول الله (ص) :

«الحياء من الإيمان، والإيمان من الجنَّة، والبذاء من الجفاء والجفاء في النَّار».

«إنَّ لِكُلِّ دين خُلُقاً، وإنَّ خُلُق الإسلام الحياء».

«مَنْ لم يستح من النَّاس، لم يستح من الله سبحانه».

«مَنْ لم يستح من الله في العلانية، لم يستح من الله في السِرِّ».

«لم يبق من أمثال الأنبياء إلاَّ قول النَّاس! إذا لم تستح فاصنع ما شئت».

وعن مولانا أمير المؤمنين قال:

«كثرةِ حياء الرَّجُل دليلٌ على إيمانه».

ويقول مولانا الصَّادق :

«مَنْ لم يستح من العيب، ويرعوي عند الشَّيْب، ويخشى الله بظهر الغيب، فلا خير فيه».

آداب وسُنن

آداب المجالس

(القسم الثالث)

. لا يجوز إفشاء أسرار المجالس.

ورد في الخبر عن سيِّد البشر : «المجالس بالأمانة، وإفشاءُ سرِّ أخيك خيانة».

. يستحب التَّردُّد (وقد يجب) إلى مجالس العلم والطَّاعة وذكر الله... ومجالس العلماء، وذكرِ الآخرة، والموعظة.

وهذه تُسمَّى: مجالس الذِّكر أو مجالس إحياء الأمر، أو مجالس روضة الجنان...

. من السُنَّة الاستغفار عند القيام من المجلس... وكان رسول الله (ص) لا يقوم من مجلس، حَتَّى يستغفر الله عزَّ وجَلَّ خمساً وعشرين مرَّة.

. يُسْتحب مجالسةُ الفقراء والمساكين...

وفي النصِّ عن رسول الله (ص) : «تَمَسْكنوا وأحبُّوا المساكين، وجالسوهم، وأعينوهم...».

وعن أمير المؤمنين : «جالسْ الفقراء تزددْ شُكْراً».

. ورد النَّهيُ عن مجالسة أهلِ الهوى والسَّفاهة، وأهلِ البِدع والمنحرفين، والَّذِين يتهاونون في الحلال والحرام...

الموضوع الثالث والعشرون

العبودية والتسليم لأحكام الله تعالى

التسليم لأحكام الله عزَّ وجلَّ وأوامره ونواهيه من أهم مظاهر العبوديَّة الحقَّة، فالمسلم يُسلِّم كلَّ أمور دنياه وآخرته لإرادة الله فلا يعترض على حكم بحُجَّة عقلية أو منطقيَّة أو يقول لا سمح الله: هذا لا يتناسب مع روح العصر والتمدُّن.

يقول الله عزَّ وجلَّ: {وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً}(140).

التشريع من الخالق والتسليم من المخلوق:

ظهرت في المدَّة الأخيرة طبقة مِمَّن تأثَّروا بالأجواء والمبادىء الغربية الغازية لبلاد المسلمين، فأخذوا بانتقاد بعض الأحكام الشرعية بحجَّة التطوُّر والاجتهاد فواجهوا الإسلام بأسلوب غير مباشر، لأنَّ مواجهته مباشرة كما حدث في عقودٍ سابقة لم تُجْد نفعاً.

فيمدحون الإسلام كعنوان ثمَّ يطعنون في تفاصيل أحكامه تحت عناوين واهية وهم لا يعرفون من الإسلام حتَّى عناوينه ومصطلحاته وقواعده وأُسُسه ويتَّخذون لذلك ذريعة حقوق الإنسان وحقوق المرأة والحداثة والانفتاح... وبأنَّ الأحكام الشرعية لا تُناسب العصر فلاَ بُدَّ من تطويرها!

وللأسف اتَّبع هؤلاء بعض المؤمنين على حين غفلة أو لضعف في إيمانهم.

والله جلَّ جلاله يقول: {ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون}(141).

فالتشريع من حقِّ الله تعالى، وحده لا شريك له، والإيمان بغير ذلك شِرْك وضلالة، وما على العبد المطيع وهو المخلوق الضعيف العاجز عن فهم الخبايا والأسرار إلاَّ التسليم والطَّاعة، حيث {لا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون}(142).

ورُوِي عن سيِّدنا رسول الله (ص) في تنبيه الخواطر: «يا عباد الله أنتم كالمرضى ورب العالمين كالطبيب، فصلاح المرضى فيما يعلمه الطبيب وتدبيره به، لا فيما يشتهيه المريض ويقترحه، ألا فسلِّموا لله أمره تكونوا من الفائزين».

الأخذ بالفتاوى «السَّهْلة»!:

يُفتن بعض المؤمنين بأخذ الفتاوى لمجرَّد أنَّها تُناسب أهواءهم، وهذا من علامة ضعف الإيمان، ويتجنبَّون بكافة السُّبل الفتاوى الَّتِي لا تُناسبهم، ويُفتِّشون عن حجّة شرعية لذلك!

وفي هذا من الاستخفاف الكثير، حَتَّى يصل إلى أن يمس جوهر الإيمان لأنَّ الله عزَّ وجلَّ ليس عنده مناسب وغير مناسب، وسهل وصعب، وقديم وجديد، ورجعي وحضاري... إنْ هي إلاَّ مسمَّيات وسمومات يبثُّها المتغرِّبون والعلمانيُّون.

ومن الشرك الواضح، نعوذ بالله تعالى، اجتناب بعض الفتاوى والأحكام الشرعية لأنَّها «قاسية»، وقبول بعضها لأنَّها «معقولة ومناسبة»!

فهؤلاء الَّذِين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض (143) ، وقد تُؤدِّي بهم هذه الحالة، نعوذ بالله تعالى، إلى الارتداد.

والَّذِين يكونون كذلك هم بحقٍ الَّذِين يتّبعون أهواءهم.

ورود في النصّ عن أمير المؤمنين : «مَنْ أطاع هواه، باع آخرته بدنياه».

وعن رسول الله (ص) : «ما تحت ظلِّ السَّماء من إلهٍ يُعبد من دون الله، أعظم عند الله من هوى متَّبع».

وبعض هؤلاء يحتج بآية أو رواية يُفسِّرها أو يشرحها على هواه ورأيه، وقد يستعينون بقولٍ محرَّفٍ أو شاذ أو بِدْعة، أولئك «الضَّالُّون المضلُّون... وصفهم دواء، وقولهم شِفاء، وفعلهم الداء العياء، قد أعدُّوا لِكُلِّ حقٍ باطلاً... ويصِفون فيُموِّهون، قد هوَّنوا الطريق» (144) .

يقول الإمام الخميني عليه الرَّحمة والرِّضوان: «اعلمْ أنَّ أهواء النَّفس متنوِّعة بحسب المراتب والمتعلِّقات،... فهناك الأهواء النَّفْسيّة في العقائد والأخلاق الفاسدة، وهناك أصحاب المعاصي والمهلكات، وهناك مَنْ قال الله عزَّ وجلَّ فيهم: {أفرأيت مَن اتخذ إلهه هواه}(145).

فعلى كلِّ واحد أن يراقب بدقَّة حالَهُ، تطهيراً من الأهواء، وخوفاً من الضَّلالة والتخلُّف عن طريق الله عزَّ وجلَّ».

الله سبحانه لا يُسْأل عمَّا يفعل وهم يُسْألون:

وفيما نحن فيه يقول الإمام الخميني تعالى في الحديث الخامس والثلاثين من «الأربعون حديثاً»:

«اعلمْ أيَّدك الله سبحانه، أنَّه لا يوجد هدفٌ أو غاية لأفعال الله عزَّ وجلَّ، لأنَّه الغنيُّ والكمالُ المطلق، والواجبُ بالذات.

أمَّا غيره، فإنَّما يوجد عملاً بقصد الفائدة أو المثوبة للغير أو العبادة... فهو مُسْتكمل بهذا القصد، ووجوب الهدف بالنسبة إليه أولى من عدمه وفيه منفعة وفائدة... وهذا مُحالٌ على الله سبحانه، الغنيُّ بالذاتِ من جميع الجهات، فلا يُسْتفسر عن أفعاله، ولا يوجَّه إليه «لِمَ» «ولا يُسْأل عمَّا يفعل» بخلاف كُلِّ الموجودات الَّتِي يصحُّ السؤال عن سبب وجودها وعن أفعالها».

نصوصٌ مباركة

خطب رسول الله (ص) في حجَّة الوداع فقال:

«يا أيُّها النَّاس، والله ما من شيء يُقرِّبكم من النَّار، ويُباعدكم من الجنَّة إلاَّ وقد نهيتكم عنه».

وعنه :

«يا عباد الله أنتم كالمرضى، وربُّ العالمين كالطبيب، فصلاح المرضى فيما يعلمه الطبيب وتدبيره به، لا فيما يشتهيه المريض ويقترحه، ألا فسلِّموا لله أمره تكونوا من الفائزين».

عن مولانا أمير المؤمنين :

«خلق الخلق حين خلقهم غنياً عن طاعتهم، آمناً من معصيتهم، لأنَّه لا تضرُّه معصية مَنْ عصاه، ولا تنفعه طاعة مَنْ أطاعه».

«إذا قويتَ فاقْوَ على طاعة الله سبحانه، وإذا ضَعُفْتَ فاضعِفْ عن معاصي الله».

آدابٌ وسُنن

آداب السفر

. يوم الجمعة للعيادة ويوم السبت للسفر.

. من السُّنَّة قبل السَّفر، الصَّدقة وصلاةُ ركعتين وإعلامُ الاخوان بنيَّة السَّفر.

. ومن الآداب توديعُ المسافر، والتسامح منه، وتوصيتُهُ بما ينفعه...

. وأنْ يكون الرفقاء من أهل الإيمان والأخلاق.

. من الأدب خلط الزاد بحيث يكون واحداً فيما بين المسافرين.

. من الأدب أن يكون الرفقاء متماثلين أو متشابهين في الرزق والمال.

. يُفْترض بالمسافر أن لا يرتكب الحرام، كالغناء مثلاً... والاستماع إليه، كما هي عادة الكثيرين.

ورد عن الإمام الصَّادق : «أما يستحي أحدُكم، أنْ يُغنِّيَ على دابته، وهي تُسبِّح».

. من السُنَّة، حَمْلُ ما يحتاج من أدوات... ومن جملتها الخيوط والإبر والأدوية والمرآة والسواك والمقراض.

. من السُنَّة كثرةُ الزاد وبذْلُهُ للرفاق.

. يُسْتحب حيثما نزل الصلاة ركعتين.

. كذلك الصلاة في أوَّل الوقت، والأفضل أن تكون جماعة.

. من الأدب قلَّةُ الخلاف مع الرفاق، واستشارتُهم، وإعانتُهم، والتبسُّم في وجوههم...

. من السُنَّة استقبال الحجاج والمعتمرين... وعمل كُلّ ما يُؤدِّي إلى تعظيمهم وتوقيرهم.

. من الأدب، إذا أشرف المسافر على الوصول إلى بلده، أن يبعث خبراً لأهله يُعْلمهم بذلك.

. من السُنَّة حملُ الهدية إلى أهله... ولو كانت متواضعة.

. من الآداب شدُّ الرحال (السَّفر) لمجاورة عالِمٍ والاستفادة من حديثه أو حكمته أو دعائه... ولنيلِ بركةِ النَّظرِ إليه.

الموضوع الرابع والعشرون

أحوال القبر وما بعده

الإنسان العاقل لا يغفل مطلقاً أنَّ أمامه سفراً يُؤدِّي به إلى الآخرة، فإمَّا عذاب دائم وإمَّا نعيم قائم ولا ثالث لهما.

وكثُر في هذا الزَّمان الغافلون عن الموت وما بعده، مع أنَّ الموت هائل وخطره عظيم، وما غفلتنا عنه إلاَّ لقلَّة ذكرنا له، وضعف إيماننا بالغيب والبعث والنشور، ولانشغالنا بشهوات الدُّنيا، بينما المسنون هو كثرة ذكر هذا السفر الَّذِي لا محالة من وقوعه ولو تحصَّن ابن آدم في بروج مشيَّدة أو اختبأ في بطون الأرض، فَمَنْ غفل عن الموت فإنَّهُ لا يغفل عنه.

رُوي عن النَّبيّ : «أكثِروا هادم اللَّذات» قيل: وما هو يا رسول الله (ص)؟، قال : «الموت فما ذكره عبدٌ على الحقيقة في سعةٍ إلاَّ ضاقت عليه الدُّنيا، ولا في شدَّةٍ إلاَّ اتَّسعت عليه».

وكان صوت أمير المؤمنين يرتفع كلَّ ليلة عندما يأوي النَّاس إلى فراشهم، يقول: «تجهَّزوا رحمكم الله فقد نودي فيكم بالرحيل، وأقِلُّوا العرجة على الدُنيا، وانقلبوا بصالح ما بحضرتكم من الزاد، فإنَّ أمامكم عقبةً كؤوداً ومنازل مخوفة مهولة، لاَ بُدَّ من الورود عليها والوقوف عندها...».

الاعتبار بِمَنْ مضى:

حَتَّى تتأثَّر النَّفْس بذكر الموت، لاَ بُدَّ لصاحبها من ذكر الَّذِين مضوا قبله من أرحامه وأصحابه.

فيتذكَّر أنَّهم جُعلوا تحت التراب، وكيف كانت مناصبهم وكيف تبدَّدت أجزاؤهم، فتركوا، مُكرهين، النِّساء والأطفال أرامل وأيتام، وضيَّعوا أموالهم، وانقطعت آثارهم، وأوحشت ديارهم.

ويتذكَّر مَنْ ركن إلى القُوَّة والشباب والمال، وتلهَّى بالضحك واللَّعب، فجاءه الموت الذريع والهلاك السريع، فتخلَّعت مفاصله، وأكل الدود لسانه، ودخل التراب أسنانه، وكان يُدبِّر أموره لسنين ولم يكن بينه وبين الموت إلاَّ أيَّاماً معدودة، فعاد إلى خالقه تعالى وحيداً.

فالسعيد مَنْ اتَّعظ بغيره.

* * *

عقبات الآخرة:

سكرات الموت:

وأوَّل عقبة للآخرة سكرات الموت وشدَّ نزع الرُّوح، يقول الله ربُّنا جلَّ جلاله:

{وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد}(146).

وفي هذه العقبة تتوالى الشدائد والصعوبات على المحتضر من شدَّة الألم وزوال القوى وبكاء الأهل والعيال وغمِّ الانفصال عن المال والمنزل والعقار والممتلكات... فهو كما قال أمير المؤمنين :

«... يتذكَّر أموالاً جمعها، أغمض في مطالبها وأخذها من مصرَّحاتها ومشتبهاتها، قد لزمته تبعاتُ جمعها وأشرف على فراقها، تبقى لِمَنْ وراءه ينعمون فيها ويتمتَّعون بها، فيكون المهنأ لغيره والعِبءُ على ظهره...» (147) .

ثُمَّ يشتدُّ عليه «هولُ المطَّلع» فيرى أموراً لم يكن يراها من قبل {لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد}(148).

ثُمَّ يرى ملك الموت ومَنْ معه «فاجتمعت عليه سكرة الموت فغير موصوف ما نزل به» (149) .

العديلة عند الموت:

حيث يُخْشى عليه إنْ لم يكن من أهل الإخلاص والصدق والقلوب الصافية أن يعدل إلى الباطل عن الحقّ «اللّهمَّ إنّي أعوذ بك من العديلة عند الموت» لذا على المؤمن أن يكون خالص الإيمان بشروط التوحيد الكاملة ويدعو ربَّه:

«اللَّهُمَّ يَا أرحم الرَّاحمين إنّي قد أودعتك يقيني هذا وثبات ديني وأنت خير مستودع، وقد أمرتنا بحفظ الودائع، فرُدَّه عليَّ وقت حضور موتي».

وحشة القبر:

للقبر أهوالٌ عظيمة، لذا، كان من السُّنَّة الشريفة أنْ لا يفاجأ الميّت بالقبر، بل يوضع عند حافته هُنيئة ليأخذ أُهْبته، فهو بيت الغربة، وبيت الوحشة، وبيت الدود.

وأوصى أبو الحسن موسى الكاظم صاحبه بقوله: «إذا أتيت بالميّت إلى شفير القبر فأمهِلْه ساعة فإنَّه يأخذ أهبته للسؤال».

ووقف رسول الله (ص) بجوار قبرٍ، فبكى حتَّى بلَّت دموعه ثوبه، ثُمَّ قال: «يا إخواني لمثل هذا فاستعدوا».

وروى السيّد ابن طاووس عن سيّدنا رسول الله (ص) قوله: «لا يأتي على الميّت ساعة أشدّ من أوّل ليلة فارحموا موتاكم بالصدقة...» (150) .

ضغطة القبر:

وهي العقبة الَّتي إذا تذكَّرها ابنُ آدم ضاقت عليه الدُّنيا، يقول أمير المؤمنين : «يا عباد الله: ما بعد الموت لِمَنْ لا يُغفر له، أشدّ من الموت، القبر، فاحذروا ضيقه وضَنَكَهُ وظلمته وغربته...».

ومن أدعية الإمام الصَّادق : «اللَّهُمَّ بارك لي في الموت، اللَّهُمَّ أَعنّي على سكرات الموت، اللَّهُمَّ أعنّي على غمّ القبر، اللَّهُمَّ أعنّي على ضيق القبر، اللَّهُمَّ أعنّي على ظلمة القبر، اللَّهُمَّ أعنّي على وحشة القبر، اللَّهُمَّ زوّجني من الحور العين».

سؤال منكر ونكير:

يأتي الملكان منكر ونكير ليسألا الميّت عن ربّه ونبيّه ودينه ووليّه... لذا يُلقَّن الميّت الشهادة مرَّتين:

الأولى: عند وضعه في القبر

الثانية: بعد الدَّفن، وذلك على تفصيل مذكور في الكتب المختصة.

رُوي عن الإمام الصَّادق أنَّهُ قال: «مَنْ أنكر ثلاثة أشياء فليس من شيعتنا: المعراج والمساءلة في القبر والشفاعة».

البرزخ:

وهو من المنازل المهولة الَّذِي ذكره الله تعالى في سورة «المؤمنون» {ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون}(151).

وتخوَّف الإمام الصَّادق علينا «... ولكنِّي والله أتخوَّف عليكم من البرزخ...»

قال أحدهم: وما البرزخ؟

قال : «القبر منذ حين موته إلى يوم القِيَامة».

القيامة:

وهَوْلُها عظيم بل أعظم من كُلِّ شيء، ويوم القِيَامَة هو يوم الفزع الأكبر الَّذِي قال الله تعالى في وصفه: {ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة}(152).

فهي ثقيلة من حيث الشدائد والأهوال على كُلّ أهل السَّموات والأرض من الملائكة والجِّن والإنس.

ورُوي أنَّ رسول الله (ص) كان إذا ذكر الساعة اشتدَّ صوته واحمرَّت وجنتاه.

الخروج من القبر:

وهي ساعة الخروج من القبر، وهي إحدى الساعات الثلاث الَّتِي هي أشدّ الساعات وأكثرها وحشة على ابن آدم كما يقول الإمام السجاد : عند معاينة ملك الموت، وعند القيام من القبر، وعند الوقوف بين يديّ الله تبارك وتعالى (153) .

قال الله تعالى في سورة المعارج: {فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون، يوم يخرجون من الأجداث سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون، خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون}(154).

وهناك الميزان {والوزن يومئذ الحق}(155)، والحساب حيث {اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون}(156)، وصحائف الأعمال {وإذا الصحف نشرت}(157)، والصراط وغيرها... وحَتَّى لا نُطيل، نكتفي بهذا، مع ضرورة الرجوع لِكُلِّ مسلم يحرص على آخرته إلى كتب مباركة، للتذكرة والاستزادة، منها:

(منازل الآخرة) للمقدَّس الشيخ عبَّاس القمي.

(تسلية الفؤاد في بيان الموت والمعاد) للسيِّد عبد الله شُبَّر.

مع الإيمان التَّام بالغيب والتصديق بما جاء في كتاب الله وسُنَّة رسوله وأهل بيته عليهم أفضل الصلوات وأزكى التسليمات.

وأخيراً:

ينصح الإمام الخميني رحمة الله تعالى عليه بالاستفادة من بعض الكتب الأخلاقية الأساسية الضرورية لِكُلِّ مؤمن بالله واليوم الآخر، ومنها:

1 . كتاب «أصول الكافي» الجزء الثاني.

2 . كتب المرحوم فيض الكاشاني (158) .

3 . كتب العلاَّمة المجلسي.

4 . كتب المولى النراقي صاحب كتاب «جامع السعادات» (159) وكتب ابنه أحمد صاحب كتاب «معراج السعادة».

وغيرها من أمَّهات الكتب الأخلاقية.

نصوصٌ مباركة

رُوي عن سيّدنا رسول الله (ص) :

«احضروا موتاكم ولقنّوهم «لا إله إلاَّ الله» وبشّروهم بالجنَّة».

وعن مولانا أمير المؤمنين قوله:

«إنَّ لله مَلَكاً يُنادي في كُلِّ يوم: لِدُوا للموت، واجمعوا للفناء، وابنوا للخراب».

وكتب لمحمد بن أبي بكر لمَّا ولاَّه مصر، وأمره أن يقرأه على أهلها:

«.... احذروا يا عباد الله الموت وسكرته، فأعدُّوا له عدَّته، فإنَّهُ يفجأكم بأمرٍ عظيم، بخير لا يكون معه شرٌ أبداً، أو بشرٍ لا يكون معه خيرٌ أبداً...».

وعن مولانا الصَّادق :

«ما من مؤمن يحضره الموت إلاَّ رأى محمَّداً وعليّاً حيث تقرُّ عينه، ولا مشرك يموت إلاَّ رآهما حيث يسوؤه».

آدابٌ وسُنن

آداب الجهاد

. يستحب الترغيب بالجهاد، وإظهارُ ثوابه، وأجرِ الشهادة في سبيل الله، وما أعدَّ الله سبحانه للمجاهد والشهيد.

. يجب العملُ لدعوة النَّاس إلى الإسلام ولإقامة حكم الله في الأرض وإقامة الحدود والفرائض.

. تستحب المرابطة في سبيل الله، بمعنى الحراسة والمراقبة في ثغور المسلمين.

. مَنْ لم يُوفَّقْ للمرابطة يستحب له أن يُقدِّم سلاحاً أو عتاداً للمجاهدين.

. يجوز النَّذر للمرابطة... كذلك نذر ما يُعْطى للمجاهدين.

(عندئذٍ تُصْبح واجبةٌ عليه).

. يجوز وقفُ شيءٍ لمصلحة المرابطين في سبيل الله (كالعقار مثلاً).

. كذلك تجوز الوصيَّة لما بعد موته مثلاً.

. أقلُّ المرابطة ثلاثة أيَّام (لينعقد النَّذر الشرعي).

. إذا زادت عن الأربعين، أُلحقت بالجهاد في الثواب.

. المرابطة واجبةٌ مع الخطر... ومع عدمه أمرٌ مرغوبٌ فيه.

. من السُّنَّة أن يأمر وليُّ الأمر أمير الجهاد، بتقوى الله، وأن يُذكِّر بأهداف الجهاد، وأن ينهاه عن بعض التصرُّفات...

. كذلك الدعاء للمجاهدين بالتوفيق والنَّصر والتَّسديد.

. من السُّنَّة: المحافظة على أوقات الصلوات، والإكثار منها، وعدم الخوف من الأعداء، وعدمُ الميل بالراية أو إزالتها، وأن تُجعلَ الراية مع الشُّجعان، وأن لا يُمثَّلَ بالقتلى، وأن لا تُشتم المرأة وإنْ شَتَمَت، وأن يُحْمى الأخ في ساحة المعركة، ويُذكَرَ الله، وتُرْفَع المعنويات، ويُحرَّضَ على القتال والثبات.

. يستحب حملُ رايةٍ أو شعار... وهناك جُمَلٌ مخصوصةٌ لها.

. يُسْتحب مدحُ المجاهدين وبطولاتهم.

الهوامش

----

[1] سورة القلم المباركة، الآية 4.

(2) السرية قطعة من الجيش، ويقال: خير السرايا أربعمائة رجل.

(3) سورة العنكبوت المباركة، الآية 69.

(4) راجع «سلسلة آداب السلوك» الجزء الثاني، من صفحة 5 إلى صفحة 56.

(5) راجع تفاصيل طريقة استعمالها في «سلسلة آداب السلوك»، الجزء الثاني، صفحة 14 . 19.

(6) سورة فاطر المباركة، الآية 28.

(7) بحار الأنوار، ج1، ص210.

(8) سورة النُّور المباركة، الآية 40.

(9) سورة الحجرات المباركة، الآية 12.

(10) سورة الحجرات المباركة، الآية 10

(11) سورة النبأ المباركة، الآية 40.

(12) سورة الكهف المباركة، الآية 110.

(13) سورة الكهف المباركة، الآية 110.

(14) تُراجع «سلسلة آداب السلوك» ج2، صفحة 72 إلى 85.

(15) الوسائل، ج3، ص355، ح1.

(16) الوسائل، ج3، ص367، ح5.

(17) الخصال، ص287، ح12.

(18) سورة الفرقان المباركة، الآية 44.

(19) سورة الفتح المباركة، الآية 29.

(20) سورة لقمان المباركة، الآية 18.

(21) سورة ص المباركة، الآيتان 73، 74.

(22) سورة الأعراف المباركة، الآية 13.

(23) سورة النمل المباركة، الآية 14.

(24) سورة النحل المباركة، الآية 29.

(25) يراجع في ذلك «آداب السلوك»، ج1، ص57 إلى 71، والمصادر الأخرى.

(26) الوسائل، ج3، ص397، ح4.

(27) الوسائل، ج3، ص397، ح7.

(28) الوسائل، ج3، ص396، ح3.

(29) راجع مستدرك الوسائل، ج3، ص290، ح10.

(30) راجع تمام الحديث في الوسائل، ج3، ص397، ح5.

(31) الوسائل، ج3، ص403، ح12.

(32) الوسائل، ج3، ص400، ح9.

(33) الوسائل، ج3، ص403، ح10.

(34) الوسائل، ج3، ص403، ح12.

(35) سورة يس المباركة، الآية 15.

(36) سورة آل عمران المباركة، الآية 120.

(37) سورة البقرة المباركة، الآية 109.

(38) نوعُ تنظيفٍ للأسنان.

(39) عودٌ يأتي بها الحجاج من الحجاز، وهو متوفِّر بكثرة وبسعرٍ رخيص.

(40) سورة الأنبياء المباركة، الآية 35.

(41) سورة محمّد المباركة، الآية 31.

(42) سورة آل عمران المباركة، الآية 179.

(43) سورة آل عمران المباركة: الآية 179.

(44) سورة آل عمران المباركة: الآيات 140 . 142.

(45) راجع «سلسلة آداب السلوك» الجزء الرابع، ففيه تفاصيل يتعذَّر نقلُها هنا للاختصار.

(46) الوسائل، ج16، ص518، ح2.

(47) الوسائل، ج16، ص466، ح1.

(48) سورة مريم المباركة، الآية 62.

(49) سورة السجدة المباركة، الآية 24.

(50) سورة فُصِّلت المباركة، الآية 35.

(51) سورة الأحقاف المباركة، الآية 35.

(52) سورة آل عمران المباركة، الآية 146.

(53) مستدرك الوسائل ج2 ص425 باب استحباب الصبر على البلاء.

(54) غرر الحكم ص284 جملة من فوائد الصبر.

(55) سورة البقرة المباركة، الآيات 155 . 157.

(56) سورة القصص المباركة، الآية 10.

(57) سورة البقرة المباركة، الآية 250.

(58) سورة الأعراف المباركة، الآية 126.

(59) سورة البقرة المباركة الآيات 155 . 157.

(60) الوسائل، ج16، ص502، ح6.

(61) التطهير من البول والغائط.

(62) الوسائل، ج17، ص214، ح1.

(63) الدواء.

(64) سورة المطفِّفين المباركة، الآية 14.

(65) سورة التحريم المباركة، الآية 8.

(66) سورة الحجرات المباركة، الآية 11.

(67) سورة البقرة المباركة، الآية 222.

(68) سورة سبأ المباركة، الآية 54.

(69) سورة النِّساء المباركة، الآيتان 17، 18.

(70) نهج البلاغة المبارك، الخطبة 64.

(71) سورة الأنفال المباركة، الآية 33.

(72) نهج البلاغة المبارك، الخطبة 19.

(73) سورة الشورى المباركة، الآية 25.

(74) سورة البقرة المباركة، الآية 222.

(75) سورة التوبة المباركة، الآية 102.

(76) سورة هود المباركة، الآية 114.

(77) نهج البلاغة المبارك، الخطبة 143.

(78) سورة آل عمران المباركة، الآيتان 135، 136.

(79) سورة المائدة المباركة، الآية 39.

(80) ليُنْفق على الصغار بالمعروف، ويحفظ أموالهم، ويَسْتَنْميَها... ولا تُشترط فيه الذكوريَّة أو القربى... فيُمكن أن يكون الأمَّ أو غيرها. وليس من حقِّ أحد غير الأب والجد للأب، أن ينصب قيِّماً.

(81) هو الرقيب على الوصي، بحيث تكون أعماله على طبق توجيهاته.

(82) سورة الحجرات المباركة، الآية 12.

(83) مِنَ الَّذين يستجيب الله دعاءهم.

(84) مَنْ ذهب إلى حجِّ بيت الله الحرام.

(85) المجاهد في سبيل الله، الَّذي يغزو للدعوة إلى الإسلام.

(86) سورة البيّنة المباركة، الآية 5.

(87) سورة الأعراف المباركة، الآية 29.

(88) راجع تمام الآيات في سورة البقرة.

(89) سورة البقرة المباركة، الآية 139.

(90) سورة الزُّمر المباركة، الآيتان 2، 3.

(91) من السُّنَّة الشريفة أنَّه كُلَّما ذُكر اسم نبيٍ من أنبياء الله تعالى، أن تُصلِّيَ أولاً على سيِّدنا مُحَمَّدٍ وآلِه ثمَّ على النَّبي الَّذي ذُكر، ويُستثنى من القاعدة فقط، أبو الأنبياء سَيّدنا إبراهيم .

(92) سورة الحديد المباركة، الآية 23.

(93) مضمون عدَّة نصوص مباركة.

(94) سورة الحديد المباركة، الآية 20

(95) سورة الحديد المباركة، الآية 23.

(96) سورة الزُّمر المباركة، الآية 30.

(97) سورة مريم المباركة، الآية 39.

(98) سورة سبأ المباركة، الآية 54.

(99) سورة غافر المباركة، الآية 82.

(100) نهج البلاغة المبارك، الخطبة 182.

(101) سورة الكهف المباركة، الآية 110.

(102) سورة البقرة المباركة، الآية 257.

(103) سورة التوبة المباركة، الآية 71.

(104) سورة المنافقون المباركة، الآية 8.

(105) سورة الحجرات المباركة، الآية 12.

(106) سورة الأنفال المباركة، الآية 63.

(107) سورة آل عمران المباركة، الآية 103.

(108) سورة الشورى المباركة، الآية 26.

(109) سورة الحشر المباركة، الآية 9.

(110) تحرير الوسيلة، الجزء الثاني، ص448 إلى ص457.

(111) سورة آل عمران المباركة، الآية 110.

(112) سورة البقرة المباركة، الآية 109.

(113) صاحب أهم كتاب جامع للأدعية في القرن الأخير «مفاتيح الجنان» الَّذِي ينبغي أنْ يوجد في كُلّ بيت.

(114) سورة الممتحنة المباركة، الآية 4.

(115) سورة المائدة المباركة، الآية 51.

(116) سورة البقرة المباركة، الآية 257.

(117) سورة النِّساء المباركة، الآية 144.

(118) راجع سور المائدة الآيتان 58، 59.

(119) سورة المائدة المباركة، الآية 57.

(120) سورة المائدة المباركة، الآية 51.

(121) سورة التوبة المباركة، الآية 69.

(122) سورة النِّساء المباركة، الآية 141.

(123) الجزء الثاني.

(124) سورة فاطر المباركة، الآية 10.

(125) سورة النِّساء المباركة، الآية 139.

(126) سورة المنافقون المباركة، الآية 8.

(127) سورة المجادلة المباركة، الآية 11.

(128) سورة الأحزاب المباركة، الآية 41.

(129) سورة البقرة المباركة، الآية 152.

(130) سورة البقرة المباركة، الآية 186.

(131) سورة «ق» المباركة، الآية 16.

(132) مضمون نصوص شريفة.

(133) المصدر السابق.

(134) مضمون حديث عن النَّبيّ .

(135) سورة هود المباركة، الآية 41.

(136) سورة الأحزاب المباركة، الآية 41، 42.

(137) سورة طه المباركة، الآيتان 33، 34.

(138) سورة القصص المباركة، الآية 25.

(139) سورة العلق المباركة، الآية 14.

(140) سورة الأحزاب المباركة، الآية 36.

(141) سورة النحل المباركة، الآية 116.

(142) سورة الأنبياء المباركة، الآية 23.

(143) مضمونٌ من الآية 85 من سورة البقرة.

(144) راجع نهج البلاغة، الخطبة 194.

(145) سورة الجاثية المباركة، الآية 23.

(146) سورة «ق» المباركة، الآية 19.

(147) نهج البلاغة المبارك، الخطبة 109.

(148) سورة «ق» المباركة، الآية 22.

(149) نهج البلاغة المبارك، الخطبة 109.

(150) راجع تمام الحديث في مستدرك وسائل الشِّيعة 469/1.

(151) سورة المؤمنون المباركة، الآية 100.

(152) سورة الأعراف المباركة، الآية 187.

(153) مضمون رواية في البحار 159/6.

(154) سورة المعارج المباركة، الآيات 42 . 44.

(155) سورة الأعراف المباركة، الآية 8.

(156) سورة الأنبياء المباركة، الآية 1.

(157) سورة التكوير المباركة، الآية 10.

(158) صاحب الموسوعة الأخلاقية «المحجَّة البيضاء».

(159) من أهم الدورات الأخلاقية الكاملة الَّتِي تُدرَّس.

صدر للمؤلف

. سلسلة آداب السلوك في الإسلام (9 أجزاء)

طبعة ثانية

. سبيلُ الرشاد

. زُبدة الأربعين حديثاً

طبعة ثانية

. وسوسة الشيطان الرجيم

. قَبساتٌ من نهج البلاغة

طبعة ثانية

. حديثُ السحر

. أختاه

طبعة سابعة

. أخي الحبيب

طبعة خامسة

. أخلاق النَّبي

طبعة رابعة

. همساتٌ للآخرة

طبعة رابعة

. قال علي

طبعة ثالثة

. صفاتُ اليهود

طبعة ثالثة

. نهجُ الصالحين

طبعة خامسة

. قلوبٌ تهوي إلى عرفات

طبعة ثالثة

. آداب اجتماعية

طبعة ثالثة

. أبتاه

. أخي المعلّم

. الاسم الميمون لِقُرَّة العيون

. وصيَّةُ المسلم

طبعة خامسة

. هل انتهى دور العلماء؟!

طبعة ثانية

. أشهُرُ العبادة (رجب . شعبان . شهر رمضان)

طبعة ثانية

. لِمَ لا نخشع في الصلاة؟!

طبعة ثالثة

. لماذا يضعف الإيمان؟

طبعة ثالثة

. الفريضة المهجورة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

طبعة ثانية

. وجوبُ دعوة النَّاس إلى الإسلام

طبعة ثانية

. عندما انتقلنا: من الدفاع إلى الهجوم

طبعة ثانية

. مُسْتَحَبَّات وسُنن

طبعة ثانية

. كيف تواجه المصائب؟

طبعة ثالثة

. المنجد في معالم مكة والمدينة

. إرشادات الحج

طبعة ثانية

. أخلاق التاجر المسلم

. آثار الأعمال وثمراتها

. الموضة والموقف الشرعي منها

. في طريق السالكين

____